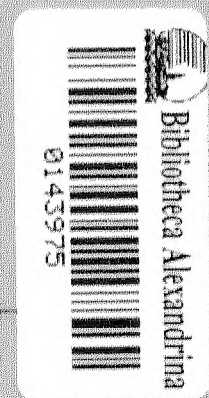


مي زياده

زنجوع الموحش

روايه



وفل

رجوع الموجة

مَحْيَ زِيَادَه

مجموع الموجة

رواية

مؤسسة نوفل
بيروت، لبنان

حقوق الطبع محفوظة للناس

الطبعة الثالثة

١٩٩٣

© مؤسسة نوفل

شارع سوريا - بناية صمدى - صالحة ، تلفون : ٢٥٢٣٠٣ - ص.ب : ١١ / ٢١٦١
بناية مركز الأطباء - جانيب مستشفى الجامعة الأميركية - تلفون : ٣٥٤٨٩٨
شارع العماري - بناية نوفل - تلفون : ٣٥٤٣٩٤ - تلکس : نوشتن ٢٢٢١٠ - لبنان

الفصل الأول

كان مساء ٨ أكتوبر بارداً والجو ملبداً بالغيوم . وعندما أقبل أول الليل أخذت مساكن شارع رامبران تتوارى عن النظر شيئاً فشيئاً وراء حجب أستار ذلك الظلام الخالك وكان الهدوء محيطاً بالمكان والسكينة محدقة بجهاته الأربع كأنه روضة في قفر .

وإذا بأمرأة حديثة السن حسنة الهيئة جميلة المنظر ملتحفة برداء واسع تعبر تلك الطريق بسرعة وهي تذهب وتأتي وتصعد وتنزل ناحية الرصيف بين شارع لسبون وشارع كوسل الى أن وقفت أخيراً أمام أحد بيوت الشارع الثاني ونظرت ملياً واجهته المشرفة على السكة . لو صادفها أحد من المارين وقتئذ على تلك الحال لما شك في انها تنتظر شخصاً ما وان ذلك المكان هو موعد للقاءها . غير انه لم يكن من سبب لمجيئها سوى مراقبة خيال .. خيال فتاة ولدت في ذلك البيت منذ احدى عشرة سنة إلا أنها

كانت منذ حين رقدت رقادها الابدي تحت المرمر المحاط
بشجيرات الورد الابيض .

هذا وقد هجم الظلام الحالك بخيله ورجله حتى ان كثرة
المصابيح المتألثة لم تكن تغني شيئاً. فجلست تلك المرأة بالقرب
من باب إحدى الحداثق وغاصت في بحر من الافكار المزعجة
وبعد هنيهة بدأت دموعها الكثيرة تنهل على وجناتها وهي تتأوه
وتصعد الزفرات من قلب مجروح . وفي غصون ذلك أرادت ان
تترك تلك البقعة التي كثيراً ما تذكرتها أيام سعادتها وإذ عزمت
على مفارقة ذلك المكان سمعت بغتة صوت مركبة في أول شارع
كوسل فاستولى عليها رعب شديد واكتنفتها الحيرة من كل جانب
وأخذت ترتجف وهي لا تدري ماذا تعمل من شدة انفعالها
وأوشكت ان تقع على الحضيض لكن يدا قوية أمسكتها بغتة
وهي مطبقة الجفنين كغمى عليها واضعة رأسها على ذلك الكتف
التي تسندها وفي أثناء ذلك سمعت صوتاً كان قد غاب عنها منذ
خمس سنوات .

— مرغريت !

ففتحت عينيها ونظرت في وجه من ناداها ثم أطبقتهما وبعد
لحظة سمع صوتاً من بين شفتيها المصفرتين :

— ألبير !

— مرغريت . مرغريت . أنت هنا ؟ ألم ترالي تتذكرين وقد
أتيت الى هنا لتتظري البيت الذي ولدت فيه ؟ ثم جعل ألبير يضغط

على ساعد مرغريت بشدة ولم تستطع الجواب بل كان يصعب
عليها التنفس وبعد هنيهة أجابت بالجهد : نعم جئت ولكن
لا تكلمني بل دعني وشأني .

فدنا منها وهو ممسك بيدها وهمس في أذنها : من احدى
عشرة سنة يا مرغريت . . لو عاشت ابنتنا لكانت بلغت إلى هذا
العمر . قال ذلك والزفير يقطع صوته وكاد يقطع قلب تلك
المسكينة التي بدأت عبراتها تجري على وجنتيها كسيل مدرار .

— ابكي يا مرغريت اندبي ابنتك واندي حظ ابنيها التمس .
نعم انا هو ذلك الأب السييء الحظ والد ايفيخون أليف صباك
وشريك حياتك سابقاً وقد نسيت ذلك .

فقاطعته بجرأة قائلة : لا أنا لم أنس . ثم ظهر على محياها انها
تذكر كل ما قاسته من العذاب مع ذلك الرجل في غابر الزمان .
على ان ألبير تظاهر بأنه لم يسمع كلامها ثم قال :

— تعالي نذهب الى الحديقة إذ أنها خالية في مثل هذه
الساعة ولناخذ معنا كالسابق ابنتنا ايفيخون .

فأذعنت مرغريت طائعة لأنها كانت قد اعتادت الطاعة لهذا
الصوت ولكن في الدقيقة عينها خطر لفكرها كوميض البرق
انها زوجة رجل آخر بيد انها ظنت ذلك حملاً : نعم هذا هو
الشارع : وهذا هو البيت بعينه وهذه الحديقة نفسها : وألبير
يجانبها حسب سابق عهده .

— تلك كانت حيانها الماضية وهذا هو عين الحقيقة بل كيف
تغير كل هذا يا ترى ؟ وكأنا يسيران في طريقها صامتين وهو
يخالسها النظر من وقت الى آخر يمتع عينه بذلك الوجه الجميل
المحبوب الذي يستره برقع شفاف فكان يخاطب نفسه قائلاً :
ترى كيف نسيت زوجتي وعلق قلبي بحب امرأة أخرى نعم اني
عشت عدة سنوات بعيداً عن تلك التي كنت أعبدتها ثم أنه شعر
بنار شوق تحرقه وأراد أن يضمها الى صدره مستغفراً إياها أما
هي فكانت مضطربة قلقة (كريمة في مهب الريح) لا تعرف
ماذا تفكر وتقول وعندما وصلا الى باب الحديقة عادت الى
الوراء وقالت :

— يجب أن أذهب وحدي أرجو أن تتركني وشأني .

— لا

فأطاعته ولم تخالف له أمراً وسارا معاً الى أن وصلا الى بقعة
كثيرة الاشجار خالية ثم ظهرت لهما عن بعد أرض مخصصة فيها
أشجار عظيمة غير أنها مجردة من أوراقها وكان هذا المنظر مؤثراً
جداً تحت جنح الظلام الحالكة وإذ تأكدت مرغريت ان لا ثالث
بينها ولا رقيب على حركاتها اطمأنت قليلاً وأمعنت النظر في وجه
ألبي الذي إذ لاحظ منها ذلك أطرق ولم ينبس ببنت شفة .

— كيف وجدتي أما ترين هيئتي متغيرة ؟

— نعم

— هل تقدمت في السن ؟

— لا شك في ذلك .

— أرى ان الوقوف يتعبني فلنجلس هنا يا مرغريت .

فاتجها نحو مقعد كان قريباً منها وجلسا عليه ثم شرعت مرغريت تتحدث في ملامح ذلك الرجل الذي أحبته مدة طويلة فرأته شاحب اللون ضعيف الجسم منحط القوى وعند ذلك مالت إليه كل الميل وأحست بشفقة عظيمة عليه حتى ان قلبها كاد يذوب حناناً . ولم يكن إلا القليل حتى تذكرت خداعه لها بعد موت ابنتها ايثون الوحيدة . نعم قد تمثلت لها تلك الخيانة الفظيعة التي تقشع منها الأبدان كيف لا وهي انها عندما كانت تبكي وتنوح وفي حالة يرثى لها من الأحزان رأت بين ذراعي زوجها امرأة أخرى هي من أعز صديقاتها . لعمرى انها لأفكار مؤلة تأبى ألا ان تستقر في الخيلة لتعذب صاحبها تعذيباً وتكوي فؤاده حيناً بعد حين بتذكرات هي أحر من الحجر .

إذ رأى ألبير مرغريت صامتة أحس بما كان يدور في خلدتها من الأفكار المزعجة والهواجس المؤلة فدنا منها بكل هدوء وأسند رأسه المكشوف إلى كتفها المرتجف فنظرت إلى شعره الأسود الذي طالما سرحته بيديها ثم حدثت في صدغه حيث كانت تظهر عروق زرقاء نحيفة . فعند ذلك زاد اضطرابها وهاجت

عواطفها . فلم يغيب عن ألبير ما شعرت به لأنه كان عارفاً حق المعرفة بعظم حنوها وضعفها النسائي فقال لها بلين

— مرغريت لا تخافي . نعم قد كنت زوجك في الماضي وهانذا لم أزل حتى الآن بل وما دمت حياً أرزق .
— لا لا .

— بل نعم نعم . ثم وقف وأمسك يديها وقال : ذهبت اليوم إلى مدفن ابنتي ايقون وأتيت بهذا الغصن الصغير من شجرة ورد أبيض بالقرب من ذلك المدفن وها هو .

فتناولته مرغريت من يده وقبلته بحرقه مراراً ولثمته تكررراً
ثم استأنف كلامه قائلاً :

نعم ان ايقون كانت تحبنا حباً شديداً لازيادة بعده لمستزيد .
أما مرغريت فلم تستطع أن تجيبه بشيء لأن العبرات كانت تسيل بغزارة على وجنتيها والزفرات كادت تخنقها ثم تنفست الصعداء مراراً والعرق يتصبب من وجهها

— آه يا مرغريت اني من حين فقدت أمي لم أجد أحداً يكلمني عن ايقون عزيزتي فهي ماثلة أمام عيني آناء الليل وأطراف النهار ولا تبرح من بالي لحظة واحدة

— أين تركت صديقتك ؟

قالت هذا وهي تضطرب اضطراباً من شدة التأثر

— ان تلك لا علم لي بمهب ريحها نعم انها صحبتني مدة سنة تقريباً عندما كنا نجوب البلاد سوية وننتقل من جهة إلى أخرى ثم افترقنا وذهب كل لشأنه .

— ترى أين ذهبت ؟

— إني لا أعلم من أمرها شيئاً فان بلاد الله واسعة أرجاؤها .
وأما أنا فقد عزمتم على أن لا أعود إلى باريس حيث أرى آثار سعادتي الماضية وقد توفيت والذي بعد ان استقدمتني إليها على أني أشكر الله شكراً جزيلاً يا مرغريت لأنه قبض لي مرآك

— إني وحقك لم أجن ذنباً ولم أقترف إثماً ولم أفكر قط في الخيانة بل أراني لم أزل متسريلة بشوي العفاف والأمانة . نعم إني كنت أحبك وأحافظ غاية المحافظة على ذلك الحب بيد انك خنت وهدمت سعادتك بيدك

فهز كتفيه وقال : كان يجب أن تسامحيني يا مرغريت ... لم لا تغفرين لي لم لا تسدين ذيل العفو وتعودين زوجة لي كالأول ؟

فاطرقت مرغريت إلى الأرض صامتة لا تحير جواباً رجرت دموعها على خدها غير ان قلبها كان يخفق خفوق الغبطة وبعد هنيهة قالت :

— لقد ساءحتك

— لكن سماحك هذا لا يجدي نفعا الآن ومنذ قليل قلت
عندما زرت مدفنها يا بنيتي الصغيرة الراقدة تحت الشرى :
أتصدقين ان أمك قد تركتني فها أنذا أبكيك وحدي طالما
بقيت حيا .

فتحركت الشفقة في قلبها ثانية وقالت : لا . بل ابكيا معي
— نعم الآن أبكيا معك ولكن غداً مع من يجب أن أبكياها؟

أما مرغريت ففكرت بولدها الذي كان ينتظر رجوعها إلى
البيت فإذا ذاك كعكفت دموعها بتبديل ونهضت ناظرة إلى الساعة
ثم قالت لا أرى شيئا .

فأخذ ألبير الساعة ونظر إليها وقال الوقت منتصف الساعة
السابعة

— فيجب علي الانصراف إذا .. فان ابني الصغير ..
أنا عارف بوجود ولد لك وأنا أحبه من كل قلبي كيف لا
وهو أخو ابثون . إني أستودعك الله الآن فاذهبي يا مرغريت
بحراسته تعالى ولكن أستحلفك بأن تعودي إلي في الغد .

— أعدك بأنني أعود

— من كان يحبك منذ عشرة سنوات ويبذل النفس والنفيس
في سبيل رضاك ألسنت أنا ؟

— نعم أنت

— ألم تكوني زوجتي التي أحبتها قبل أن تعرفي رجلاً آخر

— نعم

— فلنعد إذاً يا عزيزتي إلى ما كنا عليه قبل من حسن الاتحاد
والوئام لنقضي باقي العمر معاً في معترك هذه الحياة وانسي الماضي .
ومن ذا الذي ما ساء قط ! أما أنا فاني أعتبرك قرينتي كالسابق
ولا أريد أن أفصل عنك ولا أن أعيش بدونك . فانا شك الله
أن تعودني إلى "فان العود أحمد اقسمني لي إذاً بحبك لا يشون بأن
ترجمي بدون ابطاء

أ إلى هذا الحد تصل بإلحاحك ؟

— نعم إذ لم يبق لي من طاقة على الاصطبار ولا أقدر على
احتمال بمادك عني إلى أكثر من غد : نعم يا مرغريت وحقق
اني أذوب ضجراً في وحدتي وقد شئت نفسي العيشة في هذه
الحياة الدنيا : عودي إليّ ولا تخافي علي ولداً فان والده يعني به
وأملك تعوله فلا بأس عليه أما أنا فاني أراني وحيداً في تعاسي
في هذه الدنيا إذ لا معين لي ولا أنيس يسليني في وحدتي فاسرعي
بالرجوع ان كنت تحبين ايشون وتعزيني (ثم حاول أن يأخذها
بين ذراعيه)

— تن بكلامي وتيقن اني أرجع على شرط أن لا تتلفظ
بشيء مما ذكرته الآن .

— سأطيعك بلا سؤال

– وأنا سأرجع بدون ريب وأما الآن فلا بد من ذهابي على
جناح السرعة لمشاهدة ابني الذي قد مل من الانتظار .

– اذهبي الآن بحراسة الله وغداً ترينني انتظرك وبعد غد
وكل وقت في هذا المكان فاني لا أتعدها .

فتركته مرغريت وسارت في سبيلها وكل جوارحه أنظار
تشيوعها، أما هي فبعد أن ابتعدت عنه قليلاً التفتت فرأته لم يبرح
مكانه وقد رفع يده مسلماً ثم ركبت أول عربة وجدتها وذهبت
تنهب الأرض حتى قوارت عن النظر .



الفصل الثاني

انتهت مرغريت الى البيت وقرعت الجرس ففتحت ورأت زوجها أمامها وهو طلق الحيا باسم الشفتين ولما رآها أسرع إليها وصافحها وأمارات الحب ظاهرة على وجهه ثم خاطبها بخنوقائلا:

لقد تأخرت يا عزيزتي فماذا جرى لك اليوم ؟

فأجابته غير مكترثة به : لم يحر لي من شيء قالت هذا واذا بصوت أمها يناديها : أسرع يا ابنتي أسرع فان صغيرك يبكي ولا يريد أن ينام بدونك : فقالت هانذا آتية . ثم هرولت الى حجرتها وأشعلت فيها المصباح ثم وقفت جامدة حائرة في وسط الحجرة لا تعي على شيء مرتبطة اليدين حزينه النفس وكأني بها ترى ذاتها انها غريبة في هذا البيت . وكان زوجها قد تبعها فلما رآها على هذه الحال دنا منها ومد يده الى رأسها نازعا الدبابيس من شعرها ثم رفع القبعة عنه وقال :

أسرعى الى الصغير يا حبيبتي فانه يبكي منذ وقت غير وجيز ؟

— ويلاه هل هو مريض ؟

— لا بل هو في غاية الصحة لكنه قد اعتاد ان يرى امه كل يوم قبل هذا الوقت فخصفي اليه وبعد ان تناغيه قليلا ينام لاحتالة فأسرعت مرغريت الى حجرة ابنها واطفاً زوجها المصباح ثم دخل مكتبه وجعل يقرأ في كتاب كان قد طواه عند دخول مرغريت وبعد مضي نصف ساعة خرجت تتبعها أمها على الأثر فسأها زوجها :

هل نام الصغير ؟

فقالت والدتها نعم نام .

— فاذا يلزم ان نتناول طعام العشاء .

وإذ جلس الثلاثة على المائدة شعرت مرغريت ببعض التعزية عندما رأت زوجها الحقيقي تلقاءها وتذكرت ألبير ذلك الخداع الذي عذبها ونغص عيشها فقابلت بين الأول والثاني فرأت فرقا عظيما بين معاملة هذا وذاك فان زوجها الثاني كثيراً ما أحبها في كل مرحلة من مراحل هذه الحياة وخصوصاً عندما كان يراها محتاجة فانه مدّها لها يد المساعدة واتخذها تحت ظل حمايته لكي ينسيها آلامها السالفة ويبدل غمومها وهمومها بالأفراح ولذلك شعرت بميل اليه فائق العادة ورأت انها محتاجة الى أن تخبره بواقعة الحال أي بما جرى لها في يومها غير أن وجود والدتها مدام موستل منعها

عن الكلام فأبقت ذلك الى أول فرصة تسنح لها إلا أنها لم تستطع
 كتمان عواطفها واخفاء احساساتها ولم تمض سوى هنيهة حتى
 تفجرت ينابيع دموعها وسالت انهار دموعها على خديها وشعرت
 بضيق صدر ضاغط على مجرى النفس كاد يخنقها وأخذت
 تئن أنين البائس الحزين . فحينئذ نهض روجر عن كرسيه
 مرتعبا مضطربا وأوقفها في مكانها وأسندها على ذراعه ثم ذهب
 بها الى حجراته حيث أجلسها على مقعد هناك وفي غضون
 ذلك هرولت مدام موستل والطعام في فيها وقالت : ما الخبر
 وأي خطب جرى ؟

— لا تخافي يا حماقي دعيني أعالجها وحدي أما أنت فاذهي
 الى مزاوله شؤونك .

— نعم في مثل هذا اليوم ولدت ابنتها ايثون فيظهر انها
 تذكرت ذلك فما قدرت والحالة هذه على امتلاك عواطفها

— لم يغرب عني ذلك وقد ادركت كل هذا من ملامح وجهها
 وظهر لي جليا انها تفتكر بابنتها ايثون . قال هذا وشرع يداوي
 امرأته هذه بعناية كلية واعتناء لا زيادة بعده لاستزيد وهو
 ينشقها المنعشات على اختلاف انواعها وضروبها وكان طبيبا ماهرا
 في صناعة الطب ولم يكن إلا يضع دقائق حتى عادت اليها قواها
 وفتحت عينيها كأنها قد انتهت من سبات عميق وقالت :
 يا روجر اذهب وأتم طعامك وأنت يا والدتي اصحبيه الى المائدة

واستكلي غداءك فما من حاجة لي بكما بعد .

فأجابت والدتها : لا أستطيع ان آكل لقمة واحدة لأن
معدتي في اضطراب شديد !

— تعالى يا حماتي معي الى المائدة . وأنت يا عزيزتي مرغريت
اذا شعرت بتعب جديد فما عليك إلا أن تقرعي جرس الاستدعاء
لأحضر بسرعة .

— لا شك في ذلك .

فهدأ روع مرغريت وجمعت قواها لأن المكان خلا لها ثم
بدأت ثانية تعيد في فكرها ذكر ماضيها وما حدث لها في أدوار
حياتها ، وما هي اللحظة حتى اغمضت جفניה فتتمثل حينئذ شخص
ألبير الحلو أمام ناظرها فأمعنت النظر طويلا في صباحة ذلك
الوجه المنير والجبهة العالية البيضاء كما انها تأملت في ذلك القوام
المعتدل الذي لا يضاهيه قوام فضلا عن رنات صوته اللذيذة الى
غير ذلك من الصفات التي كانت تأخذ بمجامع القلوب . فعند ذلك
غضت على أناملها ندما وكادت تغيب عن الرشد ثم عادت الى
واجباتها وفكرت في شخص الدكتور روجر الذي كان قوي
البنية عريض المنكبين اسمر اللون ذا لحية سوداء طويلة وعينين
براقتين تلوح على بحياه طهارة القلب وسلامة النية وحرية الضمير .

قد علم مما تقدم ان مرغريت تحب ابن عمها روجر لكن شتان
ما بين الحين الأول والثاني وقد قال الشاعر :

نزه فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب إلا للحبيب الأول

نعم ان حبها وعشقها وميلها وهواها وقلبها كل ذلك كانت قدمنته الى ألبير الذي عرفته أولاً ومعلوم أن الحب كلما عظم ازدادت الغيرة . على أن مرغريت عندما رأت ما كان من أمر زوجها ألبير مع صديقتها بلانش كبر عليها وصعب احتمالها فأسرعت الى أمها وقصت عليها الخبر مظهرة لها عظيم حزنها وشديد كدرها غير أن هذه لم تكن ذات تعقل ورزانة وحكمة لتسكين جاشها وتهديتها روعها فهاجت وماجت لدى سماعها ذلك وانتفضت انتفاضاً وقالت تبالة من رجل دنيء ، ووغد لئيم عادم الشرف فاقد الاحساسات الانسانية أسألك رباه ان تخلص ابنتي من هذا الوحش الضاري !

ولم تكتف العجوز بهذا الكلام المميع العواطف دفعة بل كانت تتلفظ به مراراً وتراجعته تكررراً أمام ابنتها مظهرة لها فظاعة عمل زوجها وخيانتته التي لا يطاق احتمالها ولم تزل على هذا ومثله من اغتياب ألبير وتخطئته بأسمج الألفاظ والتعابير حتى بدأت مرغريت تشعر بأن مراحل العداوة والحقد تغلي في احشائها وصارت تكره ألبير كرهاً عظيماً وشعرت بأنها لا تقدر أن تساكته ولا أن تعيش معه . فعزمت على طلب الطلاق . على انها عندما أعلنت ذلك لوالدتها قالت لها هذا الصواب بعينه كيف لا وان

الزوج هو سيء المباديء فاسد السيرة فلا تطيب السكنى معه
بوجه من الوجوه .

أما ألبير فانه سمع في إحدى المرات الحديث الذي كان
يدور بين الأم وابنتها بهذا الخصوص وعندما طرقت مسعديه
كلمة « طلاق » أسرع طالبا مواجهة مرغريت فأبت مقابلته كل
الاباء ثم كتب لها بعد ذلك عدة رسائل غير انها أعادتها إليه على
الآثر مختومة كما كانت . فاستعان ببعض الأشخاص من ذوي
الرزانة والرصانة والمعرفة التامة بحقائق الأمور ليحادثوها في
الأمر فرفضت مقابلتهم وأبت أن تسمع كلام وسيط أو حديث
رسول في هذا الشأن . وبعد ان استعمل كل الوسائط الفعالة
لاصلاح ذات البين بينه وبينها ولم تفد شيئا بسل ذهبت ادراج
الرياح لم يشأ أن يحتقرها ولا أن يعاملها معاملة سوء فعزم أخيراً
على أن لا يعود يقاتحها بهذا الأمر بل يدعها وشأنها تاركاً حملها
على غارها .

هذا وبعد أن تم أمر الطلاق بين الزوجين شعرت مرغريت
بوخز الضمير المتعب وضيق في صدرها وما ذلك إلا لأنها كانت
تحب ألبير حباً لا زيادة بعده وكانت تبكي بكاء مرأ وتندب
حظها حينما كان يخطر في بالها انها قد فارقت فراقاً لا اتحاد بعده
ولم يجر ذلك إلا بمجرد ارادتها وقبولها التام . على أن والدتها
كانت تبذل أقصى الجهد من جهة ثانية باقناعها بأن تتزوج ابن عمها
روجر الذي كان يحبها حباً شديداً غير أن مرغريت لم تعبأ بهذا

الكلام في أول الأمر وحسبته أمراً ساقطاً لا يلزم أن يذكر بشفة ولكن نظراً لما رآته من حنو ابن عمها روجر وحسن أمانته وشفقته أخذت تفكر في هذا الأمر من وقت إلى آخر إلى أن أضحي شغلاً لها صباح مساء وكثيراً ما كان هذا الفكر يلقها في غدواتها وروحاتها وإذ لم تر مناصاً من هذه الأفكار المتعبة والهواجس المضنية اضطرت أن ترضى الاقتراح بابن عمها روجر على أنها عازمت عزماء أكيداً ثابتاً على أن تمحو من فكرها اسم ألبير واسم كل شخص يذكرها به .

أما روجر فقصده اتخاذ كل الوسائط الفعالة لكي يجعلها سعيدة ذات عيش رغد وقلب مطمئن لتنسى ذكر تلك الآلام الماضية . وكان يقرأ غومها وسائر أحزانها بل وأعماق أفكارها في عينيها وملامح محياها وكان يدل على كل هذا اشاراتها وحركاتها . وقد فهم روجر في ذلك المساء ان مرغريت تتعذب عذاباً مبرحاً بتذكر أمر محزن .

كان يجري ذلك في مخيلة مرغريت وأخيراً طرق اذنيها صوت أمها تخاطب روجر في قاعة الطعام

— اني في قلق شديد فدعني أذهب إليها

— لا ضرورة لذهابك بل الزمي مكانك

— انها وحدها فلا شك انها تضجر

- دعيتها منفردة ان الوحدة تفيدها في هذا الوقت
- على انها عصبية المزاج
- لا عجب في ذلك فانها قد ذاقته من أنواع العذاب في
ما مضى من حياتها ألواناً
- تبأ له من قاس !
- فأنكر الدكتور روجر عليها ذلك وقال لها بلطف : أرجو
يا حماقي أن لا تعودى إلى ذكره
- أهلك الله ألبير الذي كان سبب شقاءها وعذابها
- بل الأولى بك السكوت لأنها إذا سمعت شيئاً من هذا
فانه يزيد لها آلاماً
- لا أستطيع أن أسكت
- ان كان الأمر كما تقولين فأنا أشير عليك بالنوم العاجل كهذه
- فأطرقت مدام موستل ولم تجب بكلمة . ولم يكن إلا القليل
حتى نهضا وذهبا إلى حجرة مرغريت ثم دنت منها والدتها
وودعتها بقبلة في جبينها قبل أن تذهب إلى سريرها . أما
مرغريت فأشارت عليها بالبقاء ففعلت . ثم سألتها روجر قائلاً :
كيف أنت الآن يا عزيزتي مرغريت ؟
- أحسن قليلاً واني أشكرك شكراً جزيلاً ولم أزل أحس
ببعض التعب

— لا بأس عليك، فالزمي سريرك وخففي عنك قلق الفكر
واضطراب البال فانهما يضنيان الجسم كما لا يخفي عليك
ثم جلسوا اشتغل بمطالعة الجرائد وكان حيناً بعد حين يخالسها
النظر وأما هي فكانت تتناوم وليست بناائمة .



الفصل الثالث

عند انبلاج صباح اليوم الثاني نهضت مرغريت من فراشها وسألت عن زوجها فأجيبته بأنه خرج منذ ساعتين فذهبت إلى غرفة طفلها وحملته على ذراعيها وأخذت تكشر من تقبيله وملاعبته وضمه إلى صدرها كأنها لم تره منذ أشهر طويلة . وكان وجود صغيرها مكسيم بين ذراعيها أحسن واسطة لأن تنسى ألبير وتساهو وبينما هي تناغي صغيرها وتلثمه أقسمت له بأنها قد بحثت من فكرها اسم ألبير فهي مزمنة أن لا تعود إلى تذكره في حال من الأحوال ولا يصعب عليها ذلك بل يكون سهلاً لديها بوجود طفلها المحبوب الذي تبذل دونه النفس والنفيس فهي مصصمة أن لا تحب سوى طفلها هذا والوالده الدكتور روجر . وكان ذلك الطفل كحماة وديعة حين تمس شفتاه ثغرها تشعر بلذة خارقة العادة وتحن إليه حناناً لا غاية بعده وهو يلغو تارة ويصرخ أخرى وحيناً يصفق وحيناً يبش في وجه أمه ثم يقرع اديم الارض برجليه فرحاً .

ثم أتى الدكتور روجر فوجد زوجته وابنه على هذه الحالة من الانسراح والسرور فوقف هنيئة عند باب الحجرة مراقباً متأملاً حركاتهما اللطيفة مصغياً إلى حديثهما الذي حسن وقعه في أذنيه ولم يكن قد شعر من قبل بمثل هذه اللذة . وكانت عيناه ترمقانها بجنون لا يوصف وفؤاده يرقص من هزّة الطرب على رخييم صوتهما وما عثم أن رمى بنفسه عليهما وتناول الطفل بذراعه وضم أمه بالأخرى سائلاً عن صحتها الغالية باهتمام عظيم ثم قال : أريد أن أريك شيئاً جديداً أيتها العزيزة فواجهه إليه حسن الاتفاقك . وعلى أثر قوله هذا ضرب جرس الاستدعاء فدخل أحد الخدام فأشار إليه الدكتور بأن يأخذ الطفل مكسباً إلى مرضعه ثم خرج إلى صحن الدار وأتى بباقة أزهار بيضاء كبيرة ووضعها بين يدي مرغريت قائلاً : عزيزتي قد آليت على نفسي أن أزور مدفن ايقون في هذا اليوم لأضع عليه هذه الأزهار النقية وقد خطر لي هذا أمس وأرغب في أن تصحبي في هذه الزيارة فماذا ترين ؟

فرمقته مرغريت بنظرة طويلة كانت تبدو في خلالها على صفحات محياها عبارات الشكر والامتنان لأن فكر روجر هذا قد سرها سروراً لا يوصف ووقع من نفسها أعذب موقع ثم أطرقت وعلامات الابتهاج وانسراح الصدر بادية على وجهها

— ماذا ترين يا مهجتي ألم يحل ذلك في عينيك ؟ دعي عنك التأثير وأتركي الانفعالات النفسانية الشديدة الأضرار بالصحة

ولا شيء يحل محل الصحة كما لا يغرب عنك

سارا في الشارع الموصل إلى المقبرة ويد مرغريت بيد زوجها
ولم ينسباً بينت شقة في أثناء سيرهما هذا، وعندما قربا من المدفن
أسرعت في مشيتها اشتياقاً وحنيناً للراقدة فيه وما وقع نظرها
عليه حتى هرولت بسرعة شديدة وجثت على ركبتيها خائرة
القوى منكسرة القلب حزينة النفس دامعة العين غارقة في بحر
من الأحزان .

وبعد ذلك حانت التفاتة من روجر إلى ضريح ايشون فرآه
مكسوا بأنواع الزهر المختلفة الألوان والأشكال فوضع باقته
فوقها بوافر الاحترام ولحظ بين تلك الورود الذابلة أكليلاً وباقات
منها خضراء حديثة الوضع فتأكد أن مرغريت هي التي أتت بها
بالأمس فقال لها : لماذا لا تخبريني حينما تأتين إلى هنا ؟ نعم الآن
فهمت جلياً سبب دموعك وقلق أفكارك مساء أمس !

أما مرغريت فكانت غائبة عن رشدها لا تسمع ولا تفهم
ما يقال لها وهي ذارفة الدموع باكية نائحة راثية فلذة كبدها
ايشون بالفاظ تفتت الأكباد وتلين الصخر الأصم مخاطبة ايشون
كأنها في عالم الأحياء بين يديها ثم تنتظر حيناً إلى الأزهار التي على
المدفن وتلمسها بأناملها ثم تقبل بحرقه شديدة تلك التي أتى بها
ألبير كأنها ذخيرة منه .

فعلى هذا الضريح تذكرت مرغريت في ذلك الوقت حبيبين

لها تقديمها بروحها : ألبير وايثون . نعم انها لم تحب أحداً في ماضي حياتها كما أحبتهما وقد بدا لها أن موت ألبير ولو كانت منفصلة عنه أشد عليها من موت ايثون .

فيا أيها الدهر الخؤون الغدار لم جمعت قواك وبذلت جهدك في تفريق شمل الأحباب وتشتيت الأصحاب لم هذا الجور أيها الزمان الظالم بل كيف يسوغ لك أيتها الطبيعة اصدار هذا الحكم المخالف كل عدالة على خط مستقيم بتشتيت هذه الأسرة الصغيرة ؟

وأما أنت أيها الحب القوي الجبار ترى بأي عبارات أكلّمك وبأي لسان أخاطبك بل أي ألفاظ أسوقها إليك لعمرى أنك لأنت الملك العظيم الاقتدار أنت المستبد بالحكم على شعبك الكثير لم أيها الحب لا تصد هجمات الكون عن عبادك وتمنع الايذاء عن آللك والتابعين شرعك ومرادك ؟

لم لم تدفع إليها الحب عن هؤلاء الثلاثة نجمات غضب العالم والدهر والزمان والسماء والأرض والعناصر ؟ مع انك أيها الحب على كل شيء قادر . لعمرى انه لم يكن من العدل ان تسمح للطبيعة والأحوال أن تكدر صفاء عيش من اتبعوا شريعتك . كيف يجوز أيها الحب ان تدع الموت والافتراق يدخلان بيوت من يعبدونك ويحافظون كل المحافظة على اتباع سننك ؟

ظلت مرعريت جائية زمناً طويلاً وهي غائصة في بحر من

التأملات الحزنة لكنها تصورت على حين بغتة شخص ايثون منتصباً أمامها فتهتفت : ابنتي المحبوبة هلمي إلى داخل قلبي تعالي أقيمى في حضن أمك الحزينة التي لا تنساك ولا يطيب لها عيش بعدك سلام عليك وألف تحية يا ابنتي التي أذوب حباً لدى ذكر اسمك العذب المستحب . سلام على عينيك المطبقتين حتى يوم النشور سلام على شفئك الباردتين أين أنت الآن يا ولدي ايثون عند من تسكنين ومع من من الملائكة تلعبين ؟

بل سلام على روحك الطاهرة التي لا شك انها تتنعم بذلك الفرح الدائم ! لكن أنى لجسمك المتنعم أن يحتمل السكون مع الديدان ويطبق ظلمة القبور؟ نعم نعم قد تلاشى جمالك واضمحل حسنك وذبل ورد خديك وأضحت أعضاؤك رمماً بالية وصرت أترأ بعد عين .. فوالوعتاه ووا حسرتاه . لم لا تسرع أيها الموت وتأخذني إلى فلذة كبدي ايثون ؟ تعال ولا تبطيء .

وفي غضون ذلك نظر روجر إلى مرغريت فكاد قلبه يتمزق وخصوصاً عندما رأى جسمها ملقى على الحضيض جثة لا حراك بها فدنا منها ومسك يدها وأنفضها بحنو قائلاً لها : انهضي أيتها الحبيبة الحزينة فقد آن لنا أن نذهب . فوقفت وقد أودعت ذلك المكان التنهيدات والزفرات التي يرق لها الجلود ثم سارت وهي مستندة إلى ذراعه أما هو فعندما رأى أن الحزن آخذ منها مأخذه شرع يعزها ويقول لها : كفكفي دموعك وافتكري بمكسم ولدك الجميل المحبوب تذكري كلماته اللطيفة افطني في تلك

القبيلات الحلوة اللذيذة فقالت بصوت خفي نعم .. نعم .. بعد
ان كادت تخنقها العبرات ثم نشفت دموعها وهي صامتة . ذلك
ولم يزل روجر يردد على مسامعها آيات حبه لها الى غير ذلك من
العبارات التي تجعلها تسلو ايثون ثم قال لها : اني أبذل النفس
والنفيس في سبيل رضاك يا عزيزتي لأنسيك ذكر عذاباتك الماضية
وما تقاسينه من فراق ايثون .

— لا أقدر أن أنساها .

— أعرف ذلك ولكن ما قولك اذا رزقت ايثون أخرى ؟

— فابتسمت عند ذكر ذلك على ما بها من الحزن والغم .



الفصل الرابع

وعندما وصلا الى سانت اوغستان قالت له : اشكرك
يا روجر شكراً جزيلاً .

— باذن الله سأشاهدك مساء في أتم صحة وأنعم بال .

قال هذا وذهب في طريق آخر لعيادة مرضاه وكان النهار
صحواً مع أن السحب تحجب السماء وبينما كانت مرغريت سائرة
تذكرت عندما سمعت الساعة تضرب انها عاهدت أليير بالمقابلة
في مثل هذا الوقت بالحديقة المألوفة فوقفت تناجي نفسها وقد
حارت في أمرها ولم تدر ما تعمل على انها كانت متيقنة نيل عزاء
عظيم بقربه لا سبيل للحصول عليه بسواه ، لأن الحديث بينها
سيكون في ايثون . ثم قالت في نفسها لا مانع يصدني عن الذهاب
اليه فهو وحيد في هذه الدنيا لا أنيس له ولا تعزية فلا يمكن ان
أخلف وعدي بل لا بد من الذهاب اليه الآن على جناح السرعة
قالت هذا وسارت ووجهتها موعد اللقاء ولما بلغت باب الحديقة
رجعت القهقري كأنها ندمت على مجيئها ولم تزل على هذه الحال

مترددة ، تقدّم رجلا وتؤخر أخرى الى أن عزمت أخيراً على
الدخول فتوغلت بين تلك الاشجار الملتفة بقدم ثابتة وعزم أكيد
حتى انتهت الى الموضع المقصود فوجدته جالسا ينتظرها على أحر
من نار الغضا ، وعندما لاحت له خف للملاقاتها، ثم صافحها وقبل
شعر رأسها فاضطربت وتملتصت من يده فاعتذر وقال : لا بأس
سامحيني يا مرغريت فاني تعيس !

— يظهر لي ذلك .

ثم ضغط على يدها بعد ان سكنت طويلا وقال : اني تعب في
هذه الحياة الدنيا فلا يمكنني قط احتمال هذه المعيشة . نعم لن
تكوني قرينة لي فيما بعد فان سعادي قد انتهت كما يظهر لي
ومالت شمس الهناء والصفاء الى المغرب وأضحت التعاسة اليهني
والشقاء سميري والعذاب المبرح ألزم إلي من ظلي وذلك من يوم
انفصالك عني فمن كانت حالته هذه فموته خير له ؟ نعم
يا مرغريت انك ستكونين نظيري في التعاسة جزاء عملك هذا
ومن يعيش ير .

— أنا لا أكون كذلك لأنني لا استحق .

— كنت معي أسعد حظاً ولا يمكنك انكار هذا لأنك قد
اقررت بما أقول مراراً عديدة ولا يقوم الانكار بعد الاقرار .

نعم قد قضينا معا أياماً ما كان أحلاها وأشهاها ولم يبق
سوى ان تتمناها .

— أنا لا انكر ذلك انما كنت أرى اني سعيدة وانت تحبني

— أنا وحققك قد أحببتك دائماً ولم افتر عن حبك قط من
عهد معرفتي بك فكوني اذا على ثقة من هذا لأن صاحب البيت
أدرى بالذي فيه .

— لو كنت تحبني لما مالت نفسك الى ارتكاب الخيانة ومخالفة
شروط المحبة .

— رأيتك أليفة الأحزان والأشجان على فقد ايحون تنوحين
وتعولين آناء الليل واطراف النهار وهذا يخالف لطبيعة الرجل
على خط مستقيم وقد سئمت نفسي طول البكاء والأنين فجري
ما جرى على غير ارادة تامة مني .

وفي غضون ذلك كانت مرغريت صامئة تفكر بمعاملة روجر
لها وكيف انه وقف حياته وأوقاته وأثمن ما بين يديه لأجل
مرضاتها وسعادتها مع ان ألبير هذا قد ذاق في ايامه كؤوس
العذاب أشكلاً وألواناً ويصعب عليها ان تنسى كل ذلك ثم رفعت
رأسها وقالت :

قد اتممت وعدي اليوم وأتيت الى هنا لأنني أقسمت بإبنتي

ايثون لكفي لن أعود بالمستقبل الى ذلك وها أنذا استودعك الله
قالت هذا وهمت بالانصراف .

— اعيريني أيضاً نظرة واحدة أما آخر كلامي معك فهو :
اني كما قلت لك اذا شئت ان تريني فأنا في كل مساء هنا واذا
أردت يوماً ما ان تري رسم .. ايثون .

— رسم ايثون ؟

— نعم .

— واين هذا الرسم ؟

— عندي وأما مكان سكناي فهو بيت والدتي القديم حيث
لا يأتي إليّ أحد ، فتعالى يا مرغريت هلمي وانظري صورة
ابنتك ايثون ..

والآن استودعك الله ثم ذهب لايلاوي على شيء . أما مرغريت
فهتت ان تتبعه لكن قواها لم تطاوعها وجلست على مقعد هناك
وأجهشت بالبكاء لائمة نفسها على قساوتها في معاملة ألبير بالماضي
الى هذه الدرجة وكيف انها طلبت الطلاق واتخذت روجر قريباً
لها فيما بعد ، كل ذلك كان يحول بفكرها ولو لم تكن مرتبطة بسنة
الزواج ثانية ، لعادت الى ألبير لتقضي معه باقي حياتها .

الفصل الخامس

ان مرغريت لم تقتكر منذ ذلك اليوم بالبير إلا نادراً وقليلًا
ما كان يخطر في بالها وكانت تستخدم كل الوسائط لتسلوه ولا
تبالي به وقد أخذت تزداد اهتماماً وتعني بنوع خاص بارضاء
زوجها الذي لم يأل جهداً في تكثير الأسباب لاسعادها في شؤون
هذه الحياة وكانت تقضي اكثر أوقاتها في ملاعبة طفلها وملاحظة
أمر بيتها .

وفي صباح أحد الأيام من شهر نوفمبر خرجت الموضع مع
مكسيم حسب العادة للتنزه لكنها لم ترجع في الوقت المعين
لرجوعها بل تأخرت نصف ساعة تقريباً فقلقت مرغريت من
هذا التأخر واضطرب بلباها وأخذت تحسب ألف حساب فقصد
روجر أن يذهب بنفسه للبحث عنهما لأجل تسكين روعها لأنها
كانت منحرفة الصحة منذ أيام وهي تتأثر من أقل انزعاج . وبينما
هما يتجاذبان أطراف الحديث بهذا الموضوع إذا بالمرضع حاملة

مكسيم على ذراعيها وهي تلهث تعباً لأنها كانت تمشي بسرعة
فقلت لها مرغريت : قد قلت لك غير مرة ان لا تتأخري في
الرجوع عن الوقت المعين لك ومع ذلك فقد تأخرت اليوم نصف
ساعة فاشتغل بالنأ فيما سبب تأخرك هذا ؟

نسيت ساعتى هنا يا سيدتي فأرجو منك المذدرة هذه المرة
وفضلاً عن ذلك انى صادفت رجلاً فى الطريق استوقفنى
بسبب ملاعبته مكسيم وقد ظهر لى انه يجب الأطفال كثيراً .

— ومن هو هذا الرجل ؟ وتبادر إلى ذهن مرغريت فى
الحال انه هو ألبير فاكفهـر وجهها . فقال لها روجر: لا تعكرى
صفاء مزاجك يا عزيزتى ثم قال للمرضع وأنت من صادفك
بالطريق ؟

— لقيت رجلاً لابساً ثياب حـداد وهو كثيراً ما يلعب
الأولاد الصغار ويلطفهم وقد سألتى بنوع خصوصى عن عمر
مكسيم وأحواله وأظن انه فاقد ابناً له !

— مهما كانت حالته فلا يازم أن تكلمى أحداً بالطريق من
الآن فصاعداً لا سيما الذين لا تعرفينهم .

— أنا لا اكلم أحداً حق الذى أعرفه ولكن هذا الرجل هو
الذى استوقفنى وتكلم معى وبدأ يلعب الطفل مظهرأ له سائر

أنواع الملاطفة فأراني والحالة هذه لم أقترف إثماً ولم أجن ذنباً ثم خرجت مقطبة الوجه .

— لا أهمية لتأخرها هذا يا عزيزتي مرغريت وكثيراً ما يحدث ذلك في كل زمان ومكان ولا بد من أن يكون كلامها صحيحاً وان ذلك الرجل توفي له حديثاً ولد من عمر مكسيم

— أفهم كل هذا ولكن قصدي أن لا تكلم أحداً بالمستقبل لأن الآداب توجب على الانسان ولا سيما المرأة أن تكون في غاية الاحتشام كما لا يخفي عليك

— لا فضفوك ونعم الرأي رأيك. ها اني أراك قد تعافيت من الزكام وملكت تمام الصحة التي هي أغلى من كنوز الأرض عندي فاذا كان الجو نهار غد صافياً فلا بد من الخروج للتنزه . وفي أثناء ذلك دخل الخادم وبيده رسالة برقية باسم روجر يطلب بها مرسلها من الدكتور روجر الاهتمام ببعض الشؤون فخرج على الفور وعلى أثر ذلك دخلت الممرض إلى قاعة الطعام وهي لم تزل مقطبة الوجه متممة ، فأجلست الطفل بالقرب من أمه وأحضرت له الطعام قائلة في نفسها : يظهر انه لا ثقة لهم بي فأى شيء ارتكبت من سوء الأدب يا ترى ؟

— صادفت رجلاً بالطريق فسألني باهتمام عن عمر الولد وبما ن الآداب تقضي علي بمجاوبته جاوبته ولا أراني مخطئة في ذلك.

— ما مضى قد مضى دعيانا من هذه القصة . الآن اذهبي لاتمام
شغلك كما كنت أقهرمتك .

وكانت يد مرغريت تنتفض انتفاض العصفور بلله المطر
عندما كانت تلقم الصغير لأنها فهمت من كلام الموضع ووصفها بأن
الرجل هو ألبير بعينه فغلت مراجل الشوق والهيام في قلبها
وتساقطت دموعها الغزيرة وحنّت إلى ألبير حنين الظمآن إلى
الماء والعليل إلى الشفاء ثم ضمت ولدها إلى صدرها وانهاالت عليه
بالاثم والتقبيل أكثر من عادتها .



الفصل السادس

ان حال مرغريت قد تغيرت تغيراً كلياً منذ أخبرتها الموضع بأن رجلاً صادفها في الطريق وعادت لا تذوق الراحة ولا طعم الكرى لأن ذكر البير لازمها ملازمة الظل وفي أكثر الأيام كانت تخرج للتنزه مع الموضع ومكسيم على أمل أن تصادف بغيتها وغاية غاياتها غير انها لم تجد له عيناً ولا أثراً مع انها كانت تكثر من التردد إلى الحديقة المذكورة . وفي ذات يوم خطر في بالها بعد أن عيل صبرها تسأل الموضع ألم تنزل تصادف الرجل المذكور فأجابتها بأنفة :

— نعم أجده مراراً لكني كل مرة ألح به عن بعد أسير في طريق آخر حتى لا ألتقي به ولولا ذلك لكنت حضرتك تقولين اني أنا التي افتش عنه لأستميله إليّ . قلت والشيء بالشيء يذكر ان اللواتي يرمن استألت إليهن كثيرات من ذوات الجاه والوجاهة والجمال الرائع ولعمري اني لا أصلح ان أكون خادمة عندهن ويظهر لي أن الرجل جدير بالاعتبار حري^٥ بأن يكون من رجال

الأعمال المهمة ولا يخطيء ظني لأنا نرى غالباً أن المنظر دليل على
الخبر .. ولكن يا ليت صحته أحسن منها الآن فإنه ضئيل
الجسم نحيفه .

كانت تقول ذلك وهي تزعم بأنها تعرف الفراسة وقراءة
الأفكار إذ أنها لم تصف الرجل وما هو مفظور عليه من وفرة
ذكاها وحسن ادراكها وكانت تنتظر تعجباً وعلامة استحسان
من سيدتها مرغريت لكن هذه ظلت صامتة لا تنطق بكلمة ولا
تبدي إشارة سلب ولا ايجاب على ان ما فاهت به الموضع كان
يخرق فؤادها كسهام نارية وكادت تجيش بالبكاء لو لم تضبط
نفسها بعد الجهد الجهد .. ولما خرجت الموضع من الحجرة
طفقت تفكر في هيجان بالها واضطراب بلبالها وما تلاقيه من
العذابات المبرحة لدى تذكرها ألبير فوطدت النفس على ان تبحث
عنه في كل ناحية وصوب لتراه ، إطفاءً لغليل اشواقها التي كادت
تذهب بحياتها بيد أن عزيمتها فثرت عندما تمثلت ناظرها أمانة
روجر وحبها المفرط لها فصعب عليها اذا ان تحون من يحافظ على
الأمانة لها أشد المحافظة ولا يزال يبحث عن أسباب سعادتها
ورفاهيتها .

ان مرغريت افترقت عن صديقاتها وانفصلت عن صواحبها
من عهد زواجها بروجر ولهذا أخذت تشعر يوماً بعد آخر بضجر
الوحدة وصعوبة الانفراد فملت هذه العيشة . مع انها في مدة

اقامتھا مع ألبير كانت قد اعتادت على مبادلة الزيارات والاجتماعات البيتية والرغبة في اللبس والتبرج والتزين بأنواع الحلى الثمينة . ومنذ اقترنت بروجر رغبت عن كل ذلك واستقلت بذاتها استقلالاً تاماً اجتهدت ان لا تلتقي بمن يعرفنها خوفاً من تجديد جراحها العميقة وذكر الأيام الماضية .

أما الدكتور روجر فانه كان ميالاً جداً الى هذا الاستقلال ويستحسن جداً عشرة مرغريت ومحدثتها ولذا لم يكن يخالط أحداً من الناس غيرها إلا في النادر وعند الضرورة الماسة . وكان والداه وشقيقته المتزوجة بأحد ضباط العسكرية يقطنون في جهة بعيدة عنه وأخوه البكر كان مهندساً يسكن في ضواحي باريس مع زوجته وأولاده وبما أن المسافة بعيدة كانت المواصلات متعذرة إلا مرات قليلة في أثناء السنة .

لكن في إبان الربيع كانوا يتزاورون على رغم البعد وكانت مرغريت تحب سلفتها وأولادها الثلاثة ، وهذه لم تكن بأقل محبة لها ولمكسب الصغير وكانتا تجلسان وتنجاذبان أطراف الحديث أوقاتاً طويلة تقضيانها بأرق المعاشرات والطفها .

فعلى هذا الأسلوب كانت حياة مرغريت ، أي بين تدليل زوجها وعبادته لها وقبلاتها اللذيذة الحلوة لولدها مكسيم وبين حنو اسرة روجر عليها واحترامهم لها وملاطفتهم إياها الى ان

جمعها الاتفاق بالبير في ذلك المساء كما تقدم ذلك في حينه . وهي
تهتز شوقاً وتحن حنيناً الى ذكر أيام تقضت ما كان أحلاها
وأشهاها .

وفي أحد الأيام عندما ضربت الساعة الخامسة هتفت بصوت
عال من غير انتباه : لا بد لي من أن أراه ولي الاختيار العام
بذلك ان روجر لا يسألني أبداً عن ذهابي وإيابي وألبير كان
زوجي واني لأحبه حباً مفرطاً فما المانع لي . .

نهضت في الحال وذهبت بسرعة الى المكان المهود إذ لم
تستطع أن تصبر أكثر من ذلك ولم يكن سوى القليل حتى
وصلت إلى المهد .



الفصل السابع

اعتادت مرغريت أن ترى ألبير من وقت لآخر ويكون موضوع الحديث معه ايثون وبما أنه كان منكسر القلب ملازم الوحدة والوحشة وتخفف أحزانه بمعذوبة كلامها وحسن مسيرتها وأما ألبير فكان أطوع لها من بناتها لا يخالفها بشيء ويبتظر أوامرها انتظار هلال العيد، وجل القصد من معاملته هذه صيدها بجباله واستجلاها اليه ثانية . وفي مساء احدى ليالي ديسمبر الباردة قال لها وهما يتجاذبان أطراف الحديث بعد ان سعلت سعالا شديداً : لا أريد ان تأتي الى هنا فيما بعد فان البرد قارس لا يحتمل ! فقالت باضطراب وكيف نلتقي ؟

فرمقها بنظرة معنوية لحدثت في الأيام الأولى لألقت بنفسها بين ذراعيه وكانت تنتظر الجواب من فيه فخاب أملها !

ثم قال لها برزاة : هل لك بي من ثقة ؟ فلم تقدر أن تجيبه ولكنها اشارت برأسها : نعم .

— ان صورة ايثون عندي فيمكنك ان تأتي وتنظرها متى
سنت لك الفرصة .

فأطرق طويلا وأحاطت بها الهواجس والأفكار المزعجة
احاطة السوار بالعصم ثم تأملت في أنه كيف يحسن ان تدخل
ثانية تحت سقف بيت ألبير ولو دقائق يسيرة ؟

وعندما تيقنت ذلك وتصورت ابنها في ذلك البيت اقشعر
بدنها وشعرت بأن الأرض ترتج تحت قدميها وظهر لها ان
الاشجار تجري وجميع النباتات تدور وكأنما الكون قد انقلب
ومناظر الطبيعة تغيرت أمام ناظرها وبينما هي كذلك قالت على
غير انتباه نعم سأذهب وأرى ايثون !

غير انها بعد أن لفظت ذلك كنت تراها غارقة في بحر من
الأفكار والهواجس المؤلمة ، وكانت كأمواج البحر يلاطم بعضها
بعضاً ، وعيناها تمثلان أمامها صورة ذلك الوجه المحبوب الذي
كان لها في الماضي وهو ليس لها الآن . ثم انها ذكرت انها
اقسمت وابنها على ذراعيها على أن لا تعود الى التفكير في ألبير
ومع ذلك حدثت بيمينها .

فياترى ألم تكن تحب مكسيم؟ نعم كانت تحبه حباً شديداً
وقد كان يسهل عليها تضحية حياتها من أجله ولكن من جهة
أخرى كانت تظن ان ألبير هو أكثر ضرورة لحياة قلبها من

مكسيم ولدها . والحالة هذه ان كانت لا تخاف الموت حباً
بعكسيم فأنها من جهة ثانية لا تطيق الحياة وهي بعيدة عن
ألبير .

فمن يا ترى في هذه الحياة الدنيا يشفق على هذه النفس
المسكينة ويساعدها كي تنتصر على حبها وتتخلص من هواجسها
المضنية التي تحاربها ليلاً ونهاراً ! ! من هو الذي ينجيها من
شعورها ويبعد عنها آلامها التي تعذبها كثيراً ! من ذا يضمد كلوم
قلبها بتلك المرام الشافية !

فتبالك أيتها الدنيا الخادعة وتعسا لك ايها الدهر الخثون
بأمله !

بكت مرغريت بكاء مرأ وتنفست الصعداء مراراً وألبير
يطيب نفسها .

ولعمري انه الأولى بالتعزية والأجدر بالشفقة والمرحمة لأنه
كان بجمالة يرثى لها لا تنفع فيها تعزية فجري به أن يبكي وينوح
على حياته التي كانت مفعمة من الصفاء والهناء فأضحت مقرونة
بتراكم الحزن والعناء !

الفصل الثامن

في ذلك المساء أصيبت مرغريت بحمى شديدة وعسر تنفس
 كادا يذهبان بحياتها ولم تعلم والدتها بذلك إلا في صباح الغد
 فأسرعت هذه الى حجرة ابنتها لتفتقدها وتعتني بتعريضها .
 وبعد أن عاهدت على نفسها ان تحمل أعباء ذلك أظهرت لصهرها
 كدرها العظيم وقالت على مسمع منها : أنها لعنيدة جداً . هي
 تعرف حق المعرفة أنها ضعيفة وصحتها منحرفة وأن مزاجها
 اللطيف لا يحتمل شدة البرد والحر ومع هذا وذاك فلا تبالي بل
 تخرج من المناوى زمن وقوع الثلوج والأمطار .

فقال روجر يعذرهما : ان الزكام في هذا الفصل يحدث على
 رغم التحفظات والاحتياطات لأن حال الجو رديئة تصب الزكام
 وباقي العلل صبا .

— اني لا أعتقد صحة القول فعليك أن تأمرها بأن لا تخرج
 في مثل هذه الأوقات كما أن عليها الامتنال لأمرك . انها توالي
 الخروج منذ أسبوع كامل !

— الآن يجب ان نهتم بمعالجتها وتمريضها لا لومها وتعنيفها .
ثم دخلا معاً حجرة المريضة التي لم تبدسم لهما ولم تعرها جانب
الالتفات مع أنه خاطبها قليلا فلم تجبه متظاهرة بأنها نائمة فلم
يبطيء ان خرج لعيادة مرضاه بعد ان أوصى أمها بالتعليمات
الضرورية أما هذه فسألته بعد أن رافقته الى الباب : لا تكثر
بنا كأننا مسسنا احساساتها بأمر ما .

— لا بأس بذلك فان هذا من آثار الحمى وأنا سأعود بعد
قليل .

ان الدكتور روجر لم يضطرب من مرض زوجته لأنها لم
تزل في عنقوان صباها ، وهو ، هو نفسه يعالجها ومع ذلك كان
يشعر بغصة في صدره فقد شعر بعدم اكتراث مرغريت به بعد
كل ما أبداه لها من علامات الحب والاحترام كما أنه لسلامة قلبه
نسب هذا الفتور الى شدة الحمى مع أنه كان يشعر أثناء ذلك بغم
داخلي ضاغط على قلبه وسائر أحشائه وكان يخشى أن ترغب عنه
وتقرع سن الندم على قبولها إياه بعلا . ولو لم تحرضه وترغبه
امها لما أقدم على طلب يدها فانه مع فرط حبه لها لم تكن
مخلصة له حبها كل الاخلاص وعندما كان يحالسا يشعر بنوع من
الانقباض . كان فؤاده يتلهب حينئذ اليها لكنه لم يحسر قط أن
يظهر لها جميع عواطفه . وكثيراً ما كاد يترجم عن احساسات

قلبه وما يكنه فؤاده من الولوع والوله بها لكنه يلجم لسانه عن التفوه ولو بكلمة واحدة أمامها . نعم أن كل ما يفعله المحب لسعادة وهناء زوجته فعله روجر، بل زاد عليه أضعافاً ومع ذلك لم يتمكن من التوصل الى امتلاك قلبها .

نعم طالما خطر على باله ألبير زوجها الأول وكان يشعر بقرب وقوع الخطر . وسأل نفسه يوماً عما إذا تلاقيا اتفاقاً ماذا يصنعان هل يحوّل الواحد منهما وجهه عن الآخر غير مكترث بملاقاته ولا ذاكر تلك الأيام التي تقضت .

ان روجر مع ما هو عليه من حدة الذكاء والفتنة لم يقدر ان يجيب على هذا السؤال ! لكنه من هذا وغيره علم بأن سعادته ان هي إلا وقتية سريعة الزوال وان بيته مبني على الرمل .

واذ كان الدكتور روجر من ذوي الرزانة والعقل الراجح رام ان يشغل افكاره بغير ذلك فذهب الى عيادة مرضاه وكان يصغي الى وصف أعراض العلة من فم المريض بكل تأن وانتباه أكثر من العادة قاصداً بذلك ملاحظة همومه وإبعاد غمومه باشتغاله بأمراض غيره وكان في الساعة المعينة يرجع الى مسكنه ماشياً بدلا من ان يركب حسب عادته وذلك ليسرّح نظره ببعض المناظر التي يصادفها في طريقه . وفي أحد الأيام رأى وهو سائر امامه مركبة تجري بألبير وكان وقوع نظر الواحد منها على

الآخر كوميض البرق فتوقدت في قلب كل منها نار محرقة دونها
جمر الغضا . وان هي إلا لحظة حتى قال روجر في نفسه : سأبذل
نفسي في سبيل حفظها لي حتى آخر نسمة من الحياة .

اما ألبير وقد التهب نار الغيرة في فؤاده اقسم في نفسه قائلا:
والله لأسترجعها ولو كلفني ذلك فقدان حياتي .



الفصل التاسع

عندما شفيت مرغريت شرعت امها تؤنبها على قلة مداراتها لصحتها وعدم الاعتناء بها وكانت تكرر ذلك كثيراً على مسامعها ومرغريت لا تصغي اليها شيئاً . وفي بعض الأحيان كان روجر داخلاً فسمع زوجته تقول : كفاني كفاني ما سمعت منها .

فبادرتها امها بالدفاع عن نفسها مؤكدة لها انها لا تقصد سوى خيرها لأن الحب الوالدي يدفعها الى ذلك حباً براحتها الخ . لكن روجر غيّر موضوع الحديث وقال . دعينا من هذا الجدل يا عمي فإن مرغريت لم تزل ضعيفة ، قال هذا ودعا منها مستعلماً عن احوال صحتها فلم تقابله بوجهه باش ومع ذلك جلس بالقرب منها معتنياً بأمرها غاية الاعتناء وبعد ان جس نبضها قال مسروراً : لقد تعافيت وعادت صحتك الى حالها الاول فالحمد لله على السلامة . فقالت امها هامسة . قد حصل لها ضعف آخر .. فقال ان كان ذلك صحيحاً فهو من آثار الزكام . ثم قالت الأم لروجر بما انك هنا يمكنني ان اذهب لأغذي مكسيم .

- عودي الى هنا يا والدتي .
- سأرجع بعد بضع دقائق .
- ويلاه الى متى يجب ان أحبس هنا فقد ضاق صدري
يا روجر .
- ان خروجك يا مرغريت يتعلق بجودة احوال الجو لا
بإرادتي كما لا يخفى عليك وهل تعلمين بماذا افكر .
- لا اعلم قل لي اذا شئت .
- مرادي ان امضي بك الى جهة الجنوب .
- وماذا يا ترى افعل في جهة الجنوب ! لا . لا بل أفضل
البقاء معك هنا . ان مرغريت لم تتعلق بقولها هذا إذ انها كانت
تعلم حق العلم ان روجر هو سندها الوحيد .
- كوني على ثقة بأني ذاهب معك .
- ولن تترك المرضى الذين تعالجتهم .
- اني اوصي بهم احد اصحابي الاطباء .
- لا بل أفضل البقاء في العاصمة باريس .
- عليك ان تطيعيني يا مرغريت بما اني انا الامر وصاحب
البيت !
- قال هذا باسم . فصمتت وحدثت به طويلا .

— والحالة هذه ينبغي ان تغادري العاصمة .

— ان كان ذلك كذلك فأنا مريضة جداً والسفر يتعبني .

— اما الآن فانك تعافيت ولست مريضة . ولكن من الممكن ان تداهمك علة ما، وذلك مما يكدر صفاء عيشي يا عزيزتي فأريد اذا ان اتخذ كل الاحتياطات الواقية فكوني على ثقة من ذلك إذا .

— اني لا اشك في حبك لي يا روجر ولكن لم تكلمي بهذا اللحن والنغمة الجديدة .

— ان حياة الزوجين يجب ان تكون مرضية وسعيدة ذات صفاء وهناء لا يكدرها اقل شيء البتة ولعمري ، ان ذلك لا يتم إلا بمبادلة تمام الثقة بينهما وينبغي على كل منهما من باب الوجوب ان يفتح قلبه لرفيق حياته هذا ويطلعه على ما يسره ضميره في السراء والضراء كاشفاً له أعماق قلبه ونو شعر على نوع ما بالم من هذا الاقرار .

عندما سمعت هذا الكلام حدثتها نفسها من أنه عارف بوجود ألبير في العاصمة ولهذا قالت : حتى الآن لم أفهم شيئاً سقما معنى هذه الألغاز يا ترى !

— لقد تعذبتِ ايها العزيزة في ما مضى وقد آليت على

نفسى ان ابدل مجهودى فى ان أنسىك ذلك وقد يعسر لسوء
الخط نحو ذكر الأيام الماضية المحزنة فى هذه الحياة الدنيا ثم انى
لنأكد انك تنقبضين ولو قليلا متى علمت بوجود ألبير فى العاصمة
بل أنا قد رأيت رأي العين وبما انى شريكك فى آلامك يجب
ان تجنب كل ما يسبب لنا انفعالا .

وعند سماعها ذلك امتقع لون وجهها واصفرت شفاتها وشعرت
بضيق فى صدرها بعد أن دمعت عينها فدا منها روجر واخذ
يديها الباردتين بين كفيه .

— لا يحق لى ان اتكدر من دموعك هذه عند ذكر ذلك
الرجل ، المعروفة صفاته حق المعرفة وأنت أعلم بها منى أما
رجوعك إلى الورا فمؤ من رابع المستعيلات . نعم لقد اصبحت
لى وخاصتي ونحن الاثنان لسنا سوى واحد وما ألبير إلا خيال
نظرتة فى ماضى حياتك . كما انك لا تستطيعين أن تنسي لى إلى
القساوة والظلم وسوء المعاملة بهذا القول . فوحقك ان ذلك لا
يصدر إلا عن حب مفرط لا نهاية له بلى وتربة ايفون !! فاذا
لا سمح الله اقتضى يوما ما ان اعمل لك عملية جراحية تقتضى
استعمال آلات الجراحة لأجل تمزيق لحمايك فلا تحسبن ذلك
قساوة منى بل تعرفين حق المعرفة بأنى اتوجع فى الوقت عينه .
وفى غصون ذلك كانت دموعها تسيل من تحت جفניה المغمضين .

— اني طبيب كما تعرفين وصناعتي قائمة في ان أوجع لكي
أشفي لكنني لا أرضي بمعالجة جسم أزمّنت علته ان لم تكن
للعليل الثقة التامة بي . وعليه فان كان ذلك كذلك يجب ان
تخبريني بأوجاعك وتطلعيني على سائر آلامك لأداوها فاني
ابذل حياتي دونك إذا اقتضى الأمر . لِمَ تبكين هذه البكاء
امامي ان مهجتي تذوب حناناً عليك عندما ارى دموعك .

ان مخاطبة مرغريت بهذه اللهجة التي ملؤها الحب وسائر
انواع الملاحظة والمجاملة عطف قلبها اليه وأثر فيها تأثيراً شديداً
فحاولت ان تقول باسمه :

وماذا علي أن اقول ..

— ربما ترغبين في الماضي ورجوع القديم الى قدمه . فأنا أشير
عليك بأن تميتي هذا الفكر ولا تدعي للتذكر به سبيلاً . نعم أنا
لا استأهلك فإنك لأسمى مني وهذا لا يختلف فيه اثنان . وعندما
تزوجتك عهدت على نفسي واجبات لن اهملها ابداً نعم سأدافع
عنك حتى آخر نسمة من حياتي انظري الي واجعليني دائماً نصب
عينيك ولا تأملني العود الى الماضي (هنا شعر بارتعاش يدها التي
بين كفيه) قد قبلتني يا مرغريت بتمام إرادتك وكنت احبك كما
اني كنت اظنك تعيسة ..

— نعم كنت تعيسة .

— فلندع الماضي نسياً منسياً. ان ايثون توفيت فاعتبري ان
ألبير مات ايضاً فتصوري انك لن تجدي له اثرأ ولا عيناً !
فأنت أنينا يلين له الصخر الاصم لدى ذكر ذلك .

— واعلمي ان لك زوجا حنونا للغاية قد وقف حياته على
رضاك وهو لا يحلم بسوى سعادتك ورفاهتك ونظرك اعظم
برهان على ذلك لأنك ترين رأي العين ما أفعله استجلاباً لرضاك .
ان لك ولداً تتسلين به فهل نشئت شملنا بيدنا من اجل من مات.

فهمت ان تقول بأعلى صوتها : لا لم يميت الميت لا يتألم وألبير
يتألم ! فأدرك روجر فكرها لذلك قال : لسنا بمسؤولين ان
نشفق على من اساء الينا وهدم أركان سعادته بيده . فانعطافنا
عليه والحالة هذه يقع في غير محله . لم أرَ ألبير سوى لحظة بصر
لكني متأكد انه قد تغير كثيراً واصبح شاحب اللون ممتعه ..

فانتفض بدن مرغريت وقاطعته بقولها : نعم وقد رأيته .
ففسك روجر نفسه وملك عواطفه وقال : حقاً إنك لمسكينة
أنت ولم لم تخبريني بذلك .

وكيف اخبرك .

— لأنه ما من ذنب لك اذا وجدت في طريقك كما وجدت أنا
مثلاً . نعم أنا أعلم وانت كذلك والناس أجمع يعلمون ان هذا
الرجل هو سبب تعاستنا ومجلبة لتكدير صفاء عيشنا .

— قالت أنا محتاجة الى الهواء وزفرت زفرة شديدة
ثم ألقت رأسها الى الهواء مغمى عليها . فخفف روجر يرش
وجهها بالماء البارد مع تنشيقها المنعشات وعندما فتحت
أعينها أخذها الى مكتبه لأنه أدفأ ووعدھا بأن يسافرا معا
بأقرب وقت .



الفصل العاشر

كان الثلج يقع بكثرة من وقت الى آخر حتى ان البرد أضحي قارساً لا يحتمل فلم يعجب ألبير من طول غياب مرغريت وهو لم يكن ينتظر رجوعها إلا بعد مضي عدة ايام وهو كان يعرف حق المعرفة ضعف طبعها وانها تتسالم كثيراً قبل ان تقرر أمر زيارتها له .

أما عيشته فكانت مملوءة كدرا وشقاء وهو أليف التعب سحير الضجر نديم الأفكار المزعجة وهو اجسه لا تصور له سوى سعادته وتلك العيشة الرغيدة في ماضي الايام بين الاحباب والاصحاب وحين يأخذ به كل ذلك مأخذه ينظر حوله نادباً حظه وتكاد تخنقه العبرات لسبب تلك الوحدة التي لم يألفها .

عندما جرى ما جرى بخصوص أمر بلانش وغادرت مرغريت بيته ظن انها ذهبت الى امها لتقضي بضعة ايام ثم تسبل ذيل المعذرة عنه وتعود اليه . وكان يتذكر ما كانت تردده على مسامعه مرارا في اوقات اتحادهما وسعادتهما وهو انها لا تقدر

ان تحتل منه خيانة ولو صغيرة . واذا ظهر منه شيء من هذا
او نوع من الخداع فانها تكرهه بقدر ما أحبه ثم ان حنوها
يتحول الى قساوة عظيمة !

على انها حينما فاجأته وهو يلاطف بلانش بأرق الكلام
استحوذ عليه الحياء والحجل وخشى عاقبة هذا الأمر ولم يأل
جهدا في استعمال جميع الوسائل الممكنة لاسترجاعها ولم
يصادف إلا الفشل وعاملته معاملة قاسية حتى التزم ان يقطع كل
أمل من جهة رجوعها. ولم يرَ من نفسه ان التدلل يليق بشخص
نظيره بل شمع بأنفه تاركا حبلها على غاربها .

وكانت بلانش خفيفة الروح حسنة الوجه مستديرة
لطيفة المعشر لكنها غير مستقيمة المبادئ ولا حاجة الى ايضاح
ذلك . .

مر أمام نظر القاريء أن مرغريت حزنت أشد الحزن بعد
وفاة ابنتها ايثون فعادت لا تعتني بزوجها ألبير كما يقتضي بل
اطلقت العنان لدموعها واستسلمت الى الحزن المضني وهي تمضي
أكثر أوقاتها بالبكاء والنحيب وكانت بلانش تكثر من زيارتها
لها لتعزيها وتسلي ألبير وأما مرغريت الحسنة السيرة الطيبة
السريّة ذات الضمير النقي فكانت تشكرها على حبها وتسألها
بالحاح ان تطيل الإقامة عندها . وفي أحد الأيام دعته الى
الذهاب معها الى المصيف فلبت هذه الدعوة شاكرة ولم تمض

سوى أيام قليلة حتى صارت خلية ألبير ومرغريت لا تدري من ذلك شيئاً .

وبعد ان افترق الزوجان ظلت بلانش تتردد الى ألبير حياً من الدهر وبعد ذلك اختلفا وتحول الحب الى بغض وعلى أثر هذا انفصلا كل الانفصال . ولم يكن إلا القليل حتى تذكر ألبير تلك السريرة الطيبة والقلب النقي والعفاف الذي لا عيب فيه والحب الخالص والأخلاق المرضية المتصفة بها مرغريت ورام في الوقت عينه من صميم فؤاده أن تعود اليه في الحين ، وأنه مستعد ان يكفر عن هفواته التي بدرت منه عن غير قصد تام وكان يخال هذا الأمر سهلاً لعله يحبها السابق وهو يناجي نفسه بقوله : اني مستعد لتحمل أعظم الأهوال اذا اقتضت الحال لإسترجاعها اليّ .

وبعد مرور عشرة أيام من اجتماعها الأخير صفا الجو وأشرقت الشمس وابتسمت الطبيعة وغردت الأطيوار على غصون الاشجار ومرغريت لم تبد طلعتها فقلق من هذا الإبطاء فتناول القلم وكتب لها عدة رسائل ثم مزقها وضرب بها عرض الحائط وكان يكثر من الذهاب صباحاً الى البستان الذي تتردد اليه المرضع ومكسيم ابن مرغريت باحثاً مفتشاً من كل ناحية وصوب فلم يقف لهما على أثر .

وفي ذات يوم رأى والده مرغريت من غير ان تراه فتبعها

عن بعد الى ان دخلت البيت وكان عالماً بأنها تسكن في مسكن
ابنتها في الطابق الأسفل ثم دخل بعدها ببضع دقائق وصعد
درجات السلم الى ان رأى باباً عليه اسم الدكتور روجر وبعد
ان قرعه فتح له فقال : اين الدكتور روجر ! فأجابته الطباخة
فاتحة الباب : هو غائب وأظن غيابه يطول مدة شهر على
الأقل فانه ذهب منذ ثمانية أيام مع زوجته . ولم يكذ يسمع
هذا حتى رجع القهقري وهو يتلهب غيظاً وكدرا من هذا
السفر غير المنتظر وأخذ يتنفس الصعداء حتى كادت روحه
تبلغ الزاقي .



الفصل الحادي عشر

عاد ألبير إلى مسكنه ودخل حجرتة في حال يرثى لها ثم جلس وأسند رأسه بيده وجعل يفكر في أحواله المحزنة وتمثل في تخيلته مشهد اجتماعه الأخير بمرغريت وإذا تصور هزالها خصوصاً بكى بكاء مرأ لأنه لم يظهر لها أفكاره حينئذ ، وندم على تركه إياها تذهب من غير أن يستوقفها ويصحبها معه إلى بيته الذي هو بيتها أيضاً .

أما أمر سفرها إلى الخارج فلم يكن يخطر على باله قط وقد ظننها قصدت بذلك قطع المواصلات بينها وبينه .

وعلى أثر الانفصال الذي جرى منذ خمس سنوات ترك المسكن الذي أقاما به بعد زواجه وعاد إلى منزل والدته حيث اتخذ الحجرة التي كان يقطنها في مدة صباه وبعد وفاة أمه بقي في البيت نفسه لأنه كان جميلاً بعيداً عن الحركة وضوضاء الناس يكتنفه بستان صغير يحتوي على كثير من الأزهار المختلفة والرياحين المتنوعة وتكسو أرضه الخضرة النضرة والأشجار التي

تغرد على أفنانها الأطيّار . وكانت حمرته مطلقة الهواء تشرف
نوافذها على البستان وعلى أرضه التي كانت تعلوها الخضرة في
أكثر الفصول .

وكان قد شرع يهتم كل الاهتمام بتزيين هذه الغرفة وتحسينها
من حين وعدته مرغريت بزيارتها وقد وضع فيها شيئاً من الأثاث
والأدوات التي كانت عنده يوم كانوا معاً لكي يحرك عواطفها
ويحيي في قلبها ذكر أيام ما كان أحيلها وعلق في الجدران
صورة إيقون ومرغريت ووالدته .

وإذ رجع من بيت الدكتور روجر وأجال نظره طويلاً في
جدران الحجرة الأربعة وتأمل في عظيم اهتمامه وشديد اعتناؤه
بالزخرفة التي تعب بها عبثاً زاد غمه وضائق الدنيا في عينيه حتى
كاد يفقد رشده . نعم قد اتهم بوصمة الخيانة وعلى أثرها انفصلت
عنه زوجته متخذة آخر بدلاً منه وفقد ابنته ثم توفيت أمه
ولا شقيق يحن عليه ولا خليل يميل إليه ولا صاحب يسكن لوعته
ويحمد حرقته فتراها قد أصبح شريداً طريداً يندب سوء حظه
ويبكي على أيامه الماضية .

وكان بعد أن اجتمع بها في المرة الأخيرة انتعش فؤاده
وحيت آماله وشعر بأن لا طاقة له على العيشة بدونها ولا
اصطبار على الافتراق عنها ، وعليه فلم يقنط من استرجاعها .
وقد طالما قرع سن الندم على تركه إياها تقترن بروجر وكاد في

بعض الأحيان يتميز من الغيظ والغيرة عندما يحصر أفكاره وتريد
هواجسه مفتكراً كيف ان مرغريت تقيم مع روجر وتسافر
معه حيث اتجه وتسير مستندة على ذراعيه وهو ، هو زوجها
الحقيقي لا روجر . الذي لا يقدر أن يكلمها كلمة واحدة ولا أن
يكاتبها حتى لا يحق له أن يراها وهذا حال الزمان والدهر بالناس
قلب .

نعم ان ألبير لو وجد روجر في البيت عندما ذهب إليه
لهجم عليه وقبض بيده على عنقه وخنقه انتقاماً منه شافياً
غليل غيرته .



الفصل الثاني عشر

ان مرغريت اشتتت ورغت من صميم فؤادها بأن يكون روجر مانعاً حصيناً بينها وبين ألبير ولذا تراها أطاعته منقادة لمشوراتة بكل هدوء وسكينة.

وقد أقاما بضعة أيام في مدينة كان الشهيرة يجال سماءها وحسن هوائها ورنق مناظرها الطبيعية وأما صحة مرغريت فانها قد تحسنت تحسناً يديناً . كيف لا وروجر قد جعلها موضوع أفكاره وقيد هواجسه يعتني بها اعتناء الأم الحنون برضيعها يعطف عليها ويميل إليها ويلطفها غاية اللطفة كأنها ابنة صغيرة وهذه المعاملة الفاتقة الوصف أثرت في نفسها تأثيراً شديداً وكانت تشعر بامتنان فائق لا تستطيع أن تكافئه عليه ما دامت حية ولم يكن إلا القليل حق فارقتها تلك الهموم والغموم ونسيت تلك الأحزان السالفة ولم يعد يزعجها بعد ذلك ألبير ، ولا كل مايتعلق به ، ولم يحل لها سوى الإقامة بقرب زوجها وروجر وطلب السعادة بمساكنته .

لم يخطر على بال روجر أن زوجته هذه اقتربت من ألبير وكلمته وقد كان يظن انها صادفته بغتة في الطريق نظيره ولأجل ذلك لم يخامره حقد أو غيظ منها نظراً لما أظهرته من التأثيرات لدى ذكر ألبير بل ان ذلك الانفعال الطبيعي دلالة صريحة على رقة شعورها وطيب قلبها ولما رأى انها مالت إليه كل الميل سر غاية السرور وزاد اهتمامه وفاق ولوعه وهيامه بها حتى انه جعل كل أوقاته وقفاً على خدمتها وملاطقتها .

أما مرغريت فإنها قدّرت محبته حق قدرها وزادت ثقتها به ولهذا أرادت أن تطلعه على مكنونات فؤادها وكل ما حدث لها مع ألبير . ففي إحدى المرات بينما كان الحديث جارياً بينهما والموضوع موافقاً وجدت فرصة ملائمة لإخباره فقالت : أريد الآن أن أخبرك ... عندما لفظت هذه الكلمات ظهر على وجهه اضطراب عظيم وارتجف بدنه ولم يقدر أن يضبط نفسه وقال بماذا تخبريني : فعدلت عن عزمها الأول وغيرت معنى الجملة بشيء آخر ، وعلمت منذ تلك الساعة انه يصعب عليها جداً أن تخبر روجر باجتماعاتها بألبير ، مع انها كانت تود أن تكون له معرفة تامة بها ، لأنه أدري منها بكل المشاكل وتذليل الصعوبات ، وكانت من حين زواجها به تشرح له أفكارها وسائر عواطفها إذ أنها كانت متحقة حبه الثابت الذي لا يتزعزع لكنها لم تجسر على التكلم في هذا الموضوع البتة .

ان روجر على أثر اقتراحه بها لم يطلب منها حباً لأنه كان

عالمًا بهمومها وأحزانها فلا معنى لتكليفها الحب حينئذ لأن قلبها مشغول بغير شيء، ولكن كان في أثناء السفر يجتهد غاية الاجتهاد في اكتساب قلبها بكليته واشتهى أن تحبه كما يحبها وخلع عنه ثوب الإرتباك وأظهر لها من الجرأة والقوة ما لم تكن تعهده فيه قبلاً فسلوكه هذا صدها عن المداخلة في مثل هذا الموضوع .

ان مرغريت كتبت مراراً إلى والدتها تخبرها بوفرة انشراحها وفرط سرورها وما هي عليه من حسن الحال وصفاء البال مادياً وأدبياً . وذلك مما لاجدال فيه فإن سرورها في تلك البقعة انساها كل ما كان يزعجها ويقلقها ناهيك عن بقعة قد اشتهرت بمنظرها الطبيعية الفتانة فاعتدال الهواء وصفاء السماء وزرقتها ونقاءها وبهجتها وجمال الافق الذي يسحر الأبواب ويسببها حيث تحته البحر المتوسط الذي تتكسر أمواجه على تلك الشواطئ التي تأخذ بالعقول كل مأخذ ، هذا فضلاً عن جمال مناظر ما يحاورها من الجبال والاكام الخضراء التي مجرد رؤيتها يحيي القلوب المنكسرة وكانت مرغريت تشعر بأن قلبها يتسع وينفتح رويداً رويداً حتى يكاد يحتضن الفضاء وزرقة القبة الخضراء .

وكانت في صباح كل يوم تسير مع روجر على شاطئ البحر حيث تصادف بائعات الأزهار المختلفة الألوان والأشكال فتشتري منهن باقات ذات روائح عطرة تنعش القلب وبعد سير ساعة من الزمان تعود إلى الفندق مستندة على ذراع زوجها وكانت عندما

يعرب لها عن شعائر حبه تصغي إلى كلامه باسمه وتقبل بكليتها إليه ثم تشكره شكراً جزيلاً على هذه الاحساسات الشريفة .

وفي ذات يوم سمعت من بعض الجالسين نبأ المقامرة التي تجري في ملعب مونتي كارلو الشهير فقالت على الفور لروجر : وأنا أيضاً أرغب في الذهاب إلى هناك لأجل المقامرة . إذ أنها كانت تشعر من نفسها باحتياج إلى التنقل من مكان إلى آخر لتغيير المناظر الجديدة على توالي الأوقات وفي أثناء ذلك اليوم كانت تحدث روجر بالمقامرة ومونتي كارلو والذهاب بأقرب وقت والربح وما يتعلق بذلك والخلاصة لم يدر في خلدها ذلك اليوم سوى المقامرة ومكانها . أتظن اني أربح يا روجر .

— إذا كان الربح غاية متمناك فليكن لك ما تشتهين !
— لا أقول لك أن ذلك غاية مشتهاي لكني أسألك ماذا تظن بذلك لعلني أكون صاحبة بخت فما هو اعتقادك .

— اعلمي يا عزيزتي اني لسوء الحظ لست موسى ولا حزقيا ولا ايليا فلا تكلفيني بأمر النبؤات فإني عاجز عنها .
— لكن يحلو لي أن أمتحن البخت والنصيب ألا يلد لك ذلك
— لا . ان ذلك ليس من رغبتى ولا يحلو لي .

— بالحقيقة يا روجر ان أخلاقك غريبة وطباعك عجيبة
أقول لك بكل حرية انك لست من أهل هذا العصر !

فامتعض روجر من هذا الكلام ولم يحرج جواباً بل قال لها انه
آسف على هذه الأوقات العزبة التي بها لا يقدر أن يفارقها ولا
دقيقة واحدة .

فأجابته مرغريت بمثل كلامه .

— أصبح ما تقولين .

— وهل تستغرب ذلك أو تشك فيه .

فاعتقد روجر إذ ذاك انها تبادله الحب .



الفصل الثالث عشر

في صباح سفرهما الى مونتني كارلو لم يتكلم روجر سوى
كلمات قليلة دون تبسم أما هي فكانت بعكس ذلك غير انها
انقبضت فيما بعد عند ما رآته لا يشاطرها انبساطها وابتهاجها
ولذلك فكرت في أثناء هذا السفر على رغمها في ألبير وهشاشته
وبشاشته ومزاحه وعند بلوغها المكان المقصود قالت له : ها قد
افقت من نومك فالحمد لله !

فأراد روجر ان يضحك ليسرها . وبعد تناول الطعام
صعدا على سطح عال يكشف على الجهات الأربع حيث تنجلي
للناظر بهجة الطبيعة وجمالها البديع فهتفت : أنظر ما أبدع هذه
البقعة وما أجمل هذه المناظر .

وكانت تنظر الى جميع المارين من الجنسين وتسهر إذ تراه
سائرين ازواجا إذ تعتقد انهم أحباب وتقرأ في عيني كل شخص
ما يحول بخاطره من حب المال .

ثم دخلا محل اللعب الرحب بهذا المقدار وجالا في جهاته الأربع ينظران الى اللاعبين الكثيرين وبعد ذلك جلست مرغريت ووضعت قطعة ه فرنكات على اعداد فربحت وهكذا ظلت تلعب مدة ساعتين وروجر بالقرب منها لايفارقها فربحت ربحاً وافراً دون خسارة فلس واحد . وقد سرت سروراً عظيماً ليس بالنظر الى المال لأنها ذات غنى وافراً وهي لا تحب الحصول عليه بهذه الطريقة بل لأنها قويت على البخت وغلبته . وبعد ذلك بمدة غير يسيرة قال لها : ألم تكثف يا مرغريت ؟

— نعم قد اكتفيت وما قد ربحت أيضاً مقداراً أكثر من الأول فخذ هذه الدراهم عني قالت هذا وهي تفتخر بحظها ونصيبتها . ثم حانت منها التفاتة على حين غفلة فرأت صديقتها بلانش القديمة واقفة بالقرب منها ناظرة اليها وهي تبسم فذكرت مرغريت ذلك الشقاء الذي سببته هذه المرأة لها وتأملت في ابتسامتها فاذا هي ابتساماة ازدراء ثم مرت امامها واضعة يدها على خصرها وهي تجر ذيل التيه والاعجاب ولا تسلم عن الروائح العطرية التي كانت تفوح منها فانها قد ملأت المكان على رجليه وكان نظر مرغريت يتبعها مراقباً حركاتها وسكناتها وما هي عليه من التبرج المفرط . واذا بلغت جهة مقابلة لمرغريت استوقفها أحد اصدقائها وبعد ان تبادلوا الكلام وقتاً وجيزاً

التفت هذا الشخص صديقها الى جهة مرغريت ففهمت هذه بأن محور الحديث يدور عليها ، وبأسرع من لمح البرق مسكت بيد روجر قائلة : اخرج بي حالا من هنا دون ابطاء !

– الحمد لله على حسن النهاية فلنخرج ، اما مرغريت فانها استشاطت غيظاً وغضباً وامتنع لونها ولم تقدر ان تملك كدرها وحينئذ وصلا الى خارج المحل سألت روجر هل رأى تلك المرأة .

– وأي امرأة تعنين اني لم أرَ امرأة فدعينا من كل هذا وتعالى نذهب الى ذلك البستان الأخضر الذي نراه في تلك الجهة ونجلس تحت ظل أشجاره .

– نعم سر بي حالا الى هناك فاني أطوَع لك من بنائك فلا أقدر ان ابقى هنا ولا دقيقة واحدة خوفاً من ان أرى تلك الملعونة مرة ثانية .

– كوني مطمئنة لن تريها بعد . وعندما انتهيا الى البستان الذي يقصدانه جلسا حيث لا تراهما عين . ثم ما هي إلا هنيهة يسيرة حتى هطل الدمع من عينيها بكثرة وجعلت تبكي متذكرة حياتها المرة ناذبة سوء حظها وهي تتمثل عذاباتها وسائر آلامها أمام عينيها وعبراتها كسيل مدرار وروجر لا ينبس ببنت شفة بل لزم السكوت لعله ان الكلام لا يجدي نفعا في مثل هذا

الوقت . وبغضون ذلك كان يرى ان الحيل قد ضاقت به وعيل
صبره ولم يدع واسطة إلا استعملها اكتساباً لرضاها وجعلها
سعيدة وذلك لكي يعيشا عيشاً هنيئاً ذا صفاء وهناء .

وبعد ان تعبت من البكاء وخارت قواها وضعف عزمها
اسندت رأسها على ساعده وجعلت تمسح دموعها الكثيرة وهو
ساكت كالأول .



الفصل الرابع عشر

ان مرغريت كانت تعتبر ان سكنها مع رجل ووجودها تحت سقف بيته قبل أن يموت زوجها الاول هو من أشد العار واقبح الهوان عليها أمام بلانش . وهذا الفكر أي انها ذات زوجين كثيراً ما كان يعذبها ويكدر صفاء عيشها إذا وجد لديها فيه صفاء وهناء ويدع في قلبها جرحاً بليغاً بل جروحاً قتالة وقد ادرك روجر حق الادراك جميع ذلك وجعل يراقب حركاتها وسكناتها ويقرأ افكارها بسهولة الى ان قال في نفسه آخر الأمر : ان السكوت لا يصلح إلا في بعض أوقات والصمت في غير وقته يكون ضرراً محضاً وهذا لا جدال فيه بل هو أمر لا يختلف فيه اثنان وحيث ذلك كذلك لا بد لي من ان احادثها بهذا الشأن . ففي مساء ذلك اليوم ابتدأ بالكلام في هذا الموضوع وجعل يلعن بلانش وينسب اليها الخفة والطيشة وان مبادئها غير حسنة الى غير ذلك من الكلمات التي خففت عن مرغريت بعض التخفيف الى ان قالت : آه من هذه الشقية والخليقة الجهنمية لعمرى ان الناظر اليها يدرك على الفور بمجرد رؤية عينيها انها

عادمة كل حياء فاقدة الشرف الذى هو حلية الانسان في هذه
الحياة الدنيا ولم يكفها هذا بل انها تكذب على الله والناس
بشعرها المصبوغ وحمرتها الصناعية فهي تريد ان تحسب في ريعان
العمر على رغم سنيها الطويلة !

— وحقك اني بغضتها منذ أول ساعة عرفتها بها . كيف لا
وهي تخاطب الرجال بوقاحة هذا مقدارها فضلا عن الألفاظ
المخالفة الآداب التي تتفوه بها بحسرة كلية . نعم اني سمعت شيئا
عن قلة آدابها وعظم وقاحتها قبل ان أراها .

— ومن اخبرك بأخلاقها السيئة ورداءة آدابها .

— اطلعي على كل ذلك شخص يعرفها حق المعرفة .

— أظن هذا الشخص هو ألبير نفسه هو الذي انبأني بكل
شيء وقد طالما حرضني على ان اكلفها بزيارتي وكثيراً ما كان
يطنّب في حسن اخلاقها وخفة روحها واصفاً ما هي عليه من
لطافة المعشر .

— اما أنت يا مرغريت فاجتهدي في ان تنسي تلك الأيام
السوداء المحزنة .

— وانى يمكن ذلك وتذكرها ألزم لي من ظلي فهو يتبعني في
كل زمان ومكان .

— ابعدي عنك هذا التذكر الماضي ، وهل لها من يد يا ترى
في حياتك الحاضرة ؟

— نعم تقدر تتكلم علي ولا شك انها اخبرت بقصتي ذلك
الرجل الذي استوقفها في محل المقامرة .

— دعي عنك هذه الوسوس الجارحة وكيف لا تقدرين على
ذلك وأنت ذات ارادة حرة فاستعملينا إذا لطردها يؤلمك ثم
تناول كل منها جريدة وبعد هنيهة قال : يلذ لي تدخين سيجارة
في البستان قبل النوم أما انت فاتبعي مشورتي وأريحي افكارك
وارقدي بسلام .

خرج روجر واضجعت هي على سريرها راغبة في النوم
لكن عينها كانتا تنفتحان على رغما فلم تجد والحالة هذه الى
النوم سبيلا بل شرعت تفتكر في كل ما جرى لها كالسابق ومن
انها ستعود قريباً الى باريس وأما ابتعادها عن ألبير فهو من
اصعب الأمور عليها ! بل كيف تتجلد عندما تراه شاحب اللون
حزين النفس وكيف لا تذوب شغفاً عند سماع صوته الرخيم
الخلو . ومن جهة أخرى كانت تتألم كثيراً لأن اقتران روجر بها
لم يكن كنائسياً وبلانش تعرف هذا . فصعد الدم الى رأسها عند
هذا الفكر وقالت : ربما تظنني نظيرها ثم عزمت على محادثة
روجر بهذا راغبة في استدعاء أحد الكهنة ليبارك سر زواجهما
في الكنيسة ولم تتصور قط ان روجر يغضب من طلبها هذا بل

ظننت عكسه وبعد نصف ساعة عاد من البستان ودنا من
 سريرها ناظراً في محياها فتناومت وبعد أن اطفأ النور ذهب الى
 سريرته . غير انه لم يذق لذة النوم في تلك الليلة وفكر في ان
 رجوعه الى باريس صار ضرورياً للغاية بعد غيبة هذا مقدارها
 وان مرغريت تعبت من مشقة السفر فكفها بتبديل هواء ورؤية
 مناظر، وما هي الآن تتوق الى الراحة البيتية، عرفت قلبها حق
 المعرفة وعلى أي شيء ينطوي وزاد حبها لي اكثر من الماضي
 وذا يكفي بالوقت الحاضر إذ ان الود يزداد غواً مع الأيام وليس
 بوسعي ان أمحو ذكر ايامها الماضية ولو كان بإمكانني لفعلت من
 زمان طويل . أنا نفسي لم أعاملها بسوء قط . وما هو ذنبي
 يا ترى ان كانت الاساءة بدت من ألبير والخيانة من بلانش .
 فليس من مقدرتي ان انتقم منها . فاذا ما هي الجريمة التي
 ارتكبتها والجناية التي اقترفتها يا ترى وهل من العدل ان اعذب
 في تكفير الإثم عن غيري . لعمرى ان في ذلك لعجباً . نعم ان
 ذنبي الوحيد هو اني اعبدتها واقف حياتي لها وهي تباعد عني .
 اتوق اليها ولا أمل من مشاهدتها ولو جالستها كل أيام عمري
 أما هي فان حضوري وغياي لديها سيان واثبتن انها تفضل
 غياي وبعدي . أنا أسعى في ان انسيها أحزانها وأجعلها سعيدة
 وهي تقابلني بجرماني السعادة التي لم أذقها من دون كدر حتى

الآن . (سمع في غضون ذلك تشهدا فعلم انها تفكر نظيره)
تري في أي شيء تفكر في هذا الليل الدامس . اني اقسم بالسماء
وعلى الأرض ان احفظها لي ولو قاومني الكون بأسره

بل سأعبدتها عبادة ولو حاربتني نوائب الزمان وسأوفر لها
أسباب السرور ما دمت حياً وعيناي تنظران شمس النهار
ونجوم الليل .



الفصل الخامس عشر

عاد الأمل الى قلب ألبير رويدا رويدا بعد أن سحقه اليأس وقتله الملل ، وقال ان مرغريت لا تقيم مدة طويلة خارج باريس لأن ذلك لا يوافق مهنة روجر فرجوعها قريب إذا وبعد ذلك يشاهدها في حجراته المعدة لاستقبالها المزينة برسمها وذكرها . وكان يخرج غالباً من بيته للنزهة وحينما يصادف بعض اصدقائه القدماء يسلم على هذا ويضغط على يد ذاك ويبش في وجه الآخر ويسر خصوصاً بمشرفة أولئك الذين عرفوا مرغريت عنده ويتعجب عندما لا يذكرها واحد منهم .

وفي أحد الأيام مساء ذهب الى مكان عمومي حيث كان جمهور عظيم من الناس ليلهو عن افكاره المحزنة ولم يكن يبالي بأنغام الموسيقى واصوات المشخصين لأن قلبه كان يردد دائماً اسم مرغريت .. كما انه لم يكن يعبأ بالسيدات الجالسات بقربه وبغضون ذلك قال بنفسه : نعم ملت الى النساء بماضي الزمان وأما الآن فلا يسطو على قلبي سوى مرغريت . وعندما انتهى

الفصل نهض عن كرسيه قاصداً الخروج فسمع صوتاً يناديه .
فحول رأسه الى جهة الصوت وإذا بسيدة هيفاء القد مليحة
الوجه خفيفة الحركة تتبعها فتاة لطيفة المنظر لابسة ثوباً
من الحرير .

– أنت السيدة فارز ؟

– نعم أنا هي وصافحته يوداد باسمه ثم تقدمت ابنتها
ومدت يدها لمصافحة ألبير .

– أكاد لا أعرف حضرة ابنتك العزيزة !

– نعم فانها تغيرت كثيراً عن الماضي أما أنا فقد تقدمت
بالسن ومنذ زمن طويل لم أرك مع اني أسر بمشاهدتك سروراً
لا مزيد عليه لأنها تذكرني بتلك الأيام السعيدة ! ولا تبجح من
فكري تلك الصداقة القديمة وهل يسوءك ذكر الماضي .

– بالعكس فان ذلك يسرني .

– أخبرني ماذا تصنع وأين تسكن وكيف تعيش ولم
لا تزورنا .

– اسكن باريس وأعيش وحدي في بيتي وفقدت والدتي
منذ ٦ أشهر وأرى المصائب والأحزان من كل جهة ولا أريد
ان اثقل على أحد .

- كيف تعيش وحدك .
- ولم لا اعيش وحدي .
- لم لا تزورنا . اني اؤكد لك ان خبر انفصالك عن مرغريت قد غمنا جداً .. وكنت احبها من كل قلبي .
- ذلك الحب مضى الآن .
- أراها الآن تبتمد عني ولا أزورها إلا مرة واحدة في السنة واطن انها تفضل قطع هذه الزيارة .
- وهل رأيتها من عهد قريب .
- لا . اني لم اراها من عدة أشهر لكنني التقيت بوالدتها في الاسبوع الماضي فأخبرتني بأن ابنتها سافرت الى الجنوب .
- قل لي صريحاً ألا يؤلمك ذكرها .
- لا وحقك .
- مسكينة مرغريت فانها أحبتك كثيراً .
- والمفتاه على أيام مضت !
- نعم لقد احبتك جداً وانت جرحتها جرحاً بليفاً بسلوئك .. واطننا الآن سعيدة راضية بعيشتها .. وفي أثناء كلامها هذا نظرت أمارات الألم على محياه ففتفت : آه ربما تتألم من كلامي هذا ! ثم مدت له يدها ثانية دلالة على ميلها اليه .
- هل تأذنين لي يا سيدتي بزيارتك .

— من كل بد انذا نستقبل الزائرين يومي الاربعاء والسبت
وحينئذ تسمع عزف ابنتي هذه على البيانو لأنها ماهرة بفن
الموسيقى . (عند ذلك توردت وجنتا ابنتها اودت وخفضت
عينها) لو لم تمت ايضون لكنت الآن صبية إذ انها من عمر ابني
جان .. ثم تنهدت طويلا وقالت : أرى ان لا مجال للكلام هنا
لكن زورنا بأول فرصة تسنح لك وحينئذ نتحدث عن جملة أشياء
وان كنت تأبى الزيارات الرسمية في الايام المعينة للاستقبال
فيمكنك الحضور نحو الساعة الثانية بعد الظهر اي يوم شئت
وهل بلغك خبر ترملي .

— لا أعرف شيئاً من هذا .

— نعم ان يد المنية قد اختطفت زوجي منذ سنتين .

— اقبلني فروض تعزيقي اذا .

— اشكرك غاية الشكر وقد أسفت جداً وبكيت بكاء مراراً
لحلول هذه المصيبة وحزنت أياماً طويلة ورأيت ان ذلك
لا يجدي نفعاً فالأولى ان أسلي نفسي وابنتي هذه لأن الحياة في
هذه الدنيا قصيرة ونحن اللاحقون في سبيل الآخرة وهم السابقون
عاجلاً كان ذلك او آجلاً ، لا تنس ان تزورنا عن قريب . ثم
ودعته وعادت الى مكانها . جلس ألبير بعد ان أفعم قلبه سرورا
لأنه وجد إحدى صديقات مرغريت وكان من وقت لآخر
يلتفت الى حيث هي جالسة فرآها مرة تكلم امرأة على القرب
منها فعلم انه موضع حديثها .

ان مدام فارز هذه عرفت مرغريت في المدرسة إذ كانتا تلميذتين ودامت تلك الصداقة المكيّنة بينهما الى بعد زواجهما وبعد ذلك اصبحت الألفة أشد من قبل وكانت الاسرّةات تتبادلان الزيارات بتواتر وتذهبان الى التنزه معاً وكانت على اتفاق تام في الأدب والذوق والمعشر وما شاكل هذا وكان ارتباطهما هذا ينمو مع مرور الأيام .

وإذ طرق مسامع السيدة فارز انفساخ ألبير عن مرغريت أسرعت اليها سعيّاً بالصلح بينها وبين زوجها غير ان مرغريت رفضت مقابلتها لأنها كانت تعرفت ببلانش قبلاً وفضلاً عن ذلك انه تبادر الى ذهنها ان ألبير نفسه ربما أحبها وهي لم تلاحظ هذا الأمر نظراً لما هي عليه من السداجة والثقة الكبيرة وتعلقها الشديد به .

مما لا ريب فيه ان اوهام مرغريت هذه كانت تغاير الحقيقة على خط الاستقامة إذ لم يكن بينهما سوى صداقة خالية من كل عيب وغاية وألفة في منتهى السداجة ولم تكن السيدة فارز من اللواتي يقبلن على انفسهن كذا أمور مشينة وأمّال معيبة . نعم انها كانت تلبس الملابس الثمينة الأنيقة وتتزين وتتبرج لتستلفت اليها الانظار وتعجب الناظرين فهي كغيرها من جنس النساء لكنها كانت تهزأ وتزدري بالعشق والعاشقين والحب وذويه ولم تكن تبالي إلا بولديها اللذين كانا قيد اهتمامها وموضوع افكارها

وتدبير منزلها كما يقتضي فانها كانت على جانب عظيم من حسن ادارة بيتها .

وكان زوجها فارز مهندساً ذا ثقة تامة بها وبحسن امانتها وعفافها ولهذا جعلها مطلقة الحرية في شؤون ادارة البيت فهي تأمر وتنهي وتزور وتستقبل الزائرين والزائرات وتعمل المكآب الفاخرة حسبما يروق لها . ومن طبعها الميل الى الاكثار من الاجتماعات العالمية التي تتلوها الزيارات وصنع المكآب الى غير ذلك مما لا غنى للسيدات عنه . وكانت تحب زوجها باخلاص وأمانة زائدين ولم يكن هذا الحب على سبيل العشق . وبعد وفاته تذكره غالباً وتدعوه بالصدیق الأعظم وقد صبرت على فراقه الأبدي هذا كما لو كان مسافراً .

أما سرور مدام فارز بملاقة ألبير فحدث عنه ولا حرج كيف لا وقد قضت بعشرته وعشرة زوجته الأيام الطويلة بدون ان يكدر صفوها شيء وقد اخبرت ابنتها اودت بكل ما جرى له مع زوجته من غير ان تضرب صفحاً عن بعض التفاصيل لأنها كانت تكلم ابنتها وتعاملها كأنها امرأة طاعنة في السن معتبرة ان الفتاة المدعوة الى العيشة في الهيئة الاجتماعية تفتقر ان تعرف ما هو العالم واي شيء تجري فيه من الخير والشر والحسنات والسيئات على ان هذه الفتاة تحب ان تكون حسنة التدبير في أساليب المعيشة واسعة العقل قادرة على تدبير نفسها بنفسها فهذا

هو اعتقاد السيدة فارز ، وعلى هذا النوع والقياس ربت وثقفت
ابنتها التي كانت تصغي بانتباه الى أحاديث والدتها وتتأمل فيها
طويلا . وبعد ان روت لها حكاية ألبير ومرغريت سألتها :
قولي يا ولدتي : ترى هل أخطأت مرغريت باقترانها ثانية او
اصابت .

— لا شك يا ابنتي العزيزة انها اخطأت كثيراً وهذا ثاب
قول المرحوم والدك .



الفصل السادس عشر

بعد مضي يومين أتى ألبير وقرع باب بيت مدام فارز نحو الساعة الثانية بعد الظهر فسار به الخادم إلى قاعة الاستقبال فنظر إلى ما حوله فوجد كل شيء باقياً كما كان أولاً بدون أقل تغيير وقد تبادر إلى ذهنه فوراً زمان كان يأتي مع مرغريت ولهذا أخذ قلبه يخفق بسرعة عظيمة حتى كاد يشعر ان فؤاده يتقطع، وترقرق الدمع في عينيه حين خطرت في باله سعادة الماضي وتعاسة الحاضر وظلام المستقبل . وبعد هنيهة حضرت مدام فارز وسلمت عليه قائلة : حقاً ان زيارتك هذه سرتني سروراً لا يوصف واني أراك حزينا كئيباً . قص علي همومك لعل في ذلك فرجاً لك .

— لقد صدقت يا سيدتي فإني حزين النفس كئيب تعس .

— أنا شعرت بكل هذا لمتاً لحتك حيث اجتمعنا ويلزم ان تعرف حق المعرفة بأنك أنت المعلوم إذ أقدمت على عمل مناف

لسنة الآداب فكانت النتيجة ان أزعجت زوجتك وأتعبت نفسك وخربت بيتك بيدك .

— خطبت يا سيدتي وخطيبي عظمة نعم كنت مجنوناً والجنون فنون وها أنذا ترينني أكفر عن خطيبي بعيشة مملوءة من اليأس والقنوط والشقاء بل يا لها من عيشة مرة لا تطاق .. واني حتى هذه الساعة لا أزال أحب مرغريت وأميل بكليتي إليها أكثر من الأول . صرح بهذا وهو يشعر بتعزية عظمة في قلبه . على انه رأى يجانبها اللطف والجودة والاصفاء التام لحديثه فتسلى نوعاً وقال : ما أطيب قلبك أيتها الصديقة !

— اني لا أرى دواء لدائكما .

— نعم لا دواء لذلك .

قال هذا على غير ما في ضميره إذ لم يقطع الأمل من استرجاعها

— ان الدواء الناجع الوحيد هو النسيان وترويض النفس بالتنقل والأسفار من جهة إلى أخرى — كنت فيما مضى أميل إلى السفر أما الآن فلا .

— ألم تزل تحب بلانش ؟

— اتبعت ذلك حيناً لكنني لا أختارها زوجة لي ولو كانت ملكة جالسة على سرير الملك .

وهل تركتها من زمان طويل ؟

— منذ عشرة أشهر .

— تباً لهذه الدنيا ما أمر الحياة فيها ! أما الآن فقد مضى
ما مضى ومتى اطلعت على مرهم شاف لجرحك فلا تتأخر عن
الجيء إلى هنا ، فإني أساعدك بقدر امكاني . اني أتذكر ايكون
في مكان اصطيافنا الأخير وسأريك رسمها في حجرتي وكنت
أحبها وأميل إلى أمها كثيراً .

— اني أعهد ان من طبعها الأمانة فلم تجافيك يا ترى ؟

— أظن انها لا تريد أن ترى أحداً من الذين عرفوها قبلاً
وسبب ذلك واضح كالشمس في رابعة نهارها . وربما الدكتور
روجر لا يميل إلى معاشرة الناس ومرغريت لا تزور وتستقبل
إلا في النادر وهل وجدتها سعيدة .

— أظن ذلك . لها ابن صغير جميل جداً وهي تحبه محبة
عظيمة .

— ألم تنظرها من عهد الانقراض .

— صادفت مرة والدتها لكنها كانت وحدها .

— تجنب أن تراها ما استطعت لأنك ربما وجدتها كئيبة
وهذا مما لا يسرك .

– ولماذا تكون كثيفة وأراني لا أخطر في بالها ولا علاقة لها بي الآن .

– ما هذا إلا كلام . . (ان هذه اللهجة أحييت الأمل في قلب ألبير إلا أنه كتم سره ولم يعرب عما في ضميره) .

– لا تتقابل كوني مطمئنة من هذه الجهة .

– هكذا آمل .

– ان لساني عاجز أيتها السيدة عن شرح عظم تأثري الذي شعرت به عند دخولي بيتك العامر فقد ضنكت من كثرة الهموم وأشعر بأني هرمت ولكن رأيتني ساعة زيارتك عاد إلي نشاط الشبيبة .

وفي أثناء ذلك دخلت اودت وهي تميل بقدها الأهيف وصافحته وجلست .

– اني ذكرت ابنتي هذه بأنك كنت محباً لها بالماضي وقد فطنت لعدة أشياء .

– أصبح هذا أيتها الآنسة ؟

– نعم أتذكر جملة أشياء أذكر ايثون الصغيرة وكيف

كانت لابسة ثوباً أزرق يعلوه تحريم أبيض وذلك في عيد الميلاد.
ان كلمات اودت هذه خرقت قلب ألبير الذي لم تندمل جراحه
بعد فرفع يده أمام عينه قاصداً إخفاء دموعه المتفجرة فلاحظت
ذلك أم اودت فقالت : لقد آلمته يا عزيزتي !

— لا لم تؤلني بل سرتني كثيراً لما أبانت لي لون الثوب
وشكل التحريم .

— تشجع أيها الصديق القديم اننا نذكر ايثون على مسامحك.
كي نسرك .

— أراني سعيداً بلقائكما أيتها السيدة الفاضلة !

— كان يجب أن تبحث عنا قبل اليوم مع ذلك نسامحك على
هذه الهفوة بل الذنب العظيم بشرط أن تتناول العشاء عندنا
مساء الأربعاء القادم .

— أرجوك أن تعفيني من هذا .

— لا بد من مجيئك فإننا نتحدث ونمرح ونسر باجتماعنا إذ
لا غريب بيننا البتة .

عاد ألبير إلى منزله في ذلك المساء منشرح الصدر خفيف
الروح قرير العين ناعم البال وعندما فتح مكتبه وجد على مائدته

علبة خشب ولما قرأ العنوان تحقق انه كتابة مرغريت فاعترته
نوبة عصبية زعزعت أركان قواه ثم رفع الغطاء بسرعة فوجد
بطاقة بيضاء على ما هو أشبه بسرير من الورد فقرأ ما فيها وإذا
بها هاتان الكلمتان : « إلى ايثون » عند ذلك أحس بأن موجة
حب غمرت فؤاده وفتح ذراعيه منادياً زوجته المحبوبة بالطف
الأسماء وأعذبها وأرقها ثم جلس يقبل تلك الورد المطرة .



الفصل السابع عشر

كان روجر جالساً في غرفة بهية مزينة بالأزهار على اختلاف أنواعها وأشكالها تفوح منها الروائح العطرية التي تملأ الفضاء وأمامه زوجته مستندة على مقعد وكان صامتين لا ينطقان بكلمة والنهار قد شاخ وشمسه كادت تتوارى عن الأبصار ثم أخذ الفضاء يظلم شيئاً فشيئاً إلى أن أقبل الغسق بخيله ورجله باسطاً أجنحة هدوئه وسكينته على جميع الكائنات التي تحت الشمس.

أمام هذا المنظر الذي تتشجع به الأعصاب لا يتمالك القلب الحزين عن سكب العبرات واصعاد الزفرات .

انه إذ كانا يسيران على شاطئ البحر في صباح ذلك اليوم فاتحت مرغريت زوجها بالموضوع الذي أتعب فكرها تلك الليلة وحرمتها لذة النوم فطلبت أولاً فسخ أكليلها مع ألبير ثانياً أن تكلل على روجر اكليل كنسياً شرعياً ولم يكن روجر يقاطعها في أثناء حديثها هذا وعندما أتمت قولها هذا بدت على وجهه

سمات الرجولية المهيبة وقال لها : لا يا مرغريت فإن هذا لا يمكن .

— ولم يا روجر

— هذا أمر مستحيل وأنا أرفض ذلك (قال بحماسة وقوة مقرونتين بدعة تامة ووضع يده على ساعدها مداعباً فتمتمت قائلة لا أفهم) .

— ألا تفهمين اعتقادي بتمام زواجنا وتريدين أن نطلب عتقاً وهمياً ومن يعطي هذا ؟ . لا أسمح لك بالرجوع إلى الماضي وقد قلت هذا مراراً على مسامعك ، أن الماضي قد انقضى وقد كان لك تمام الحرية حينما قبلتني زوجاً لك وتلك الحرية محدودة الآن .

— أنا غير آسفة على حريتي يا روجر لكن حباً بمكسيم .

فرفع روجر قبعته وأمرّ يده على جبهته يمسح عنها عرفاً كأنه يقطر من أحشائه . فظننت أن رضاه قريب لهذا مالت نحوه قائلة بصوت رخيم :

أريد ذلك من صميم القلب يا روجر .

فحملني في وجهها طويلاً ثم قال بمجدة هذا حدها : انك توجعيني بهذا القول . نعم لو يوم طلبت أخذ يدك أبليت بداعي أن الشريعة الكنسية تحرّم ذلك لكنك امتثلت لاعتقادك هذا

وعدت صامتاً . بل لم يخطر ببالك وقتئذ هذا الأمر . والآث
بعد أن أصبحت زوجتي وأم ولدي أخذت تتشبهين بأمر
الكنيسة ؟ لعمرى ان في هذا لمعجاً عجاباً .. ألا تعلمين انك
لي حتى الموت .. الى الابد ؟

— لم أقصد ان اجرحك يا روجر انما اردت ان افهمك هذا
الفكر الذي يصعب علي .

— هذا الفكر .. واي فكر ؟

— ان زواجي الاول لا يزال مقيداً في سجل الكنيسة ..

وبعد ان غشت وجهه صفرة أشبه بتلك التي على وجوه
الموتى امسك يديها بعنف وقال: دعينا من هذا الموضوع فلنعد
الى الفندق او نذهب الى حيث هو مكسيم . ثم سارا صامتين
منخفضي الرأس الى ان لحا مكسيم عن بعد مع مرضعه فأسرعا
في خطاهما ثم ساروا جميعاً . اما مرغريت فانها استشاطت
غيظاً لأنه رفض طلبها مع ان ذلك يعرب عن عاطفة شريفة
ونفس عزيزة لا تقدر ان تحتل سمة العار . وفي كل الايام الماضية
كان روجر اطوع لها من بنائها ورهن اشارتها على انها كانت
متحقة انه لا يبخل عليها بروحه إذا طلبتها لكنها لم تعلم انه
كان حليماً مطيعاً في الأشياء الثانوية فقط . مع انه في حقيقة
الأمر كان صلب الرأي ثابت الكلمة قاسي الطبع لكنه طيب
القلب . وعندما يستدعيه عليل ما لمعالجته كان يبذل الطاقة في

شفائه إذا أطاعه العليل وان لم يعمل بحسب مشوراته بل خالف
 منها حرفاً واحداً تركه وشأنه ولم يعد اليه وذلك لأنه كان
 يعتقد ان الدعوة نتيجة الثقة التامة والثقة تقتضي الطاعة
 الكاملة . ولما رضيت به مرغريت بعلا لها رأى في هذا الرضى
 برهاناً كبيراً على تمام ثقتها به وعندما عرف نفسه أهلاً لهذه
 الثقة قبل بسرور واجبات الزوجية . وفي كل المعاني الثانوية لم
 تكن ارادته سوى صدى ارادتها لكنه لم يسمح لها بارتكاب
 خطأ فاضح كهذا ، بل كيف يدعها تتصور لحظة واحدة ان
 اقترانها غير تام . نعم انه جعل حبّه وقفاً لها لكن هذا الحب
 كان صادراً من أمر واجب الطاعة فلا غرو ان كانت ضعيفة
 فانه قوي ثابت وإذا وقعت على الحضيض فعليه ان يقبل عثرتها
 ويحمل قلة صبرها وهو مكلف ان يحمل قلبه سائر همومها
 وأحزانها لأنه يحبها ويشفق على ضعفها غير انه لا يريد ان يدعها
 تشك دقيقة واحدة في صحة اتحادهما .

لم يكن روجر يعتقد شيئاً مما يتعلق بالأديان ولذا كانت
 الكنائس والمعابد وخدماتها وكل ما له علاقة بهذه الامور كلا
 شيء عنده وهذا كان عيبه الوحيد .

ثم جلس في ذلك المساء وراء مكتبه يقرأ الرسائل الواردة
 اليه في ذلك اليوم وغرقت مرغريت في بحر هواجس وتخيلات
 معذبة ولم يكن إلا القليل حتى سمعت في قلبها صوت ألبير ومرّ

بذهنها ان ايثون تنادىها فانتفضت للحال وقالت لروجر :
ها انذا ذاهبة الى بائع الأزهار وربما دخلت الكنيسة
بعد ذلك .

— وأنا باق في مكنتي لانشغالي بكتابة جملة تحارير. فهم من
لهجتها انها تود الخروج وحدها وبعد ان توارت عنه لأنه كان
يراهما من نافذة غرفته تنفس الصعداء وأقسم بأنه سيدافع عنها
حتى الموت وأما هي فترى قلبها مفعما حبا وغما معاً — ذهبت
تبتاع أزهارا لترسلها الى ابنتها الراقدة في الرمس .



الفصل الثامن عشر

في يوم الأربعاء المعين وصل ألبير قبل سائر المدعويين فقالت مدام فارز وهي تصافح يده . أرى وجهك منيراً في هذا اليوم فالحمد لله على ذلك .

— نعم ان صحتي تحسنت وتربني مديوناً لمعروفك في كل حال فأشكرك ما حييت .

— انك تسرني جداً بكلامك هذا تفضل اجلس وبعد قليل تأتي اودت .

— اني أخاف عليك من هذا الحب الوافر لا بئسك .

— ولماذا ؟

— وماذا تفعلين فيما بعد حينما تتزوج .

— أحبها اليوم وغداً وأعزها في الحالين وهي الآن صغيرة ولا تتزوج إلا بعد بضع سنين .

- كم سنها

- ١٦ سنة

- وحضرتك كم سنك

- قد بلغت الرابعة والثلاثين .

- ألم تعيّري أفكارك السابقة

- لا بل كل يوم أتمسك بها أكثر .

دخلت إذ ذاك اودت ابنتها ، صحبة جدها دسباس وكانت
كانها تمثال الشبيبة يجللها شعرها .

استقبل دسباس ألبير استقبالا حسنا للغاية .

وكان دسباس هذا قد فقد امرأته منذ سنين طويلة يقضي
أكثر أوقاته في الجولان والتنقل من محل لآخر ، قد رغبت مدام
فارز أن يسكن أبوها معها بعد وفاة زوجها لأنها وحيدة ولاسند
لها غيره ، غير انه لم يقبل طلبها هذا بل فضل أن يبقى في بيته
مطلق الحرية إلى أن يهرمه العمر وتذهب السنون بقواه فعند
ذلك يسكن مع ابنته لأنها تعني اعتناء تاما بشيخوخته .

وما أتت الساعة السادسة ونصف حتى كمل عدد المدعوين
ومن بينهم بلواي أحد الفلاسفة المدرسين في إحدى مدارس
فرنسا الشهيرة ومعه قريفته التي تناهز الخمسين . أما صاحبة

المنزل فإنها استقبلت الجميع بكل هشاشة وبشاشة وابتنتها تحذو
حذوها في الملاطفة والمجاملة وبعد أن عرّفت مدام بلواي بألبير
صافحت يده قائلة : اني أحب كل أصدقاء مدام فارز .

وهذا صديق حميم قديم جداً جفنا مدة خمس سنوات سافر
في خلالها إلى مصر . انبيء مدام بلواي أيها الصديق بما عندك
وكان من المدعويين الحاجة لسكال أحد المصورين المشهورين
والدكتور توري طبيب الأسرة الخاص وبعد أن تجاوزوا أطراف
الحديث برهة ذهب الجميع إلى المائدة وجلسوا حولها وأخذت
الداعية محلاً قرب ألبير لتلاطفه بقدر امكانها وتنسيه أحزانه
أما المائدة فكانت مزينة بكل أنواع الزينة تحديق بها الأزهار
المختلفة الألوان والأشكال والشموع الملونة والمناثر الساطعة
بالأشعة تخطف الأبصار وفي وسطها تمثال طفل صغير هو رمز
الحب ، وحوله الأدوات الفضية من ملاعق وشوك وسكاكين
وغيرها والأنوار تنعكس على الكؤوس فتشع كشموس صغيرة .
قال دسباس : أظن ان ألبير لا يحب شرب الماء وحضرات
الأطباء الذين منهم الدكتور توري يبذلون جهدهم في أن يبرهنوا
لنا أن شرب الخمر مضر بلا جدال .

قال ألبير : نعم إذا كان حلوأ .

دسباس : آه من الأطباء ومن أفكارهم القبيحة .

توري : انك مبتلى بداء الصرع يا صاح .

دسباس : مبتلى به ويمتلىء البدن ثم ماذا ؟ عند موتى
لا أتحسر على شيء وقد عشت عيشة راضية هنيئة أكثر منك
أنت الرفيق النحيف كملازم في العسكرية ويكاد طولك ينقصف

فنظر ألبير إلى هذا النحيف الذي يكاد ينقصف فرأى
وجهاً يخبئة عالية وتحت شاربيه الأسودين شفتان تدلان على
الدهاء وكان يحادث اودت التي كانت رفضت الحساء (الشورية) .

مدام فارز : ان الدكتور يمنعها عن أكل الحساء .

دسباس : ان العالم على وشك الانقضاء إذ أن أوامر حضرات
الدكترة تلاشي لذات الموائد .

مدام بلواي : أما أنا فإني أعتبر أنه يجب علينا أن نقرن كل
أعمالنا بشيء من السذاجة .

مدام فارز : هذا هو اعتقادي نفسه .

دسباس : نعم . ويجب أن نتناول الطعام كما لو كنا نبتلع
دواء مرأ . ألم يحب آباؤنا من قبلنا التوابل وزجاجات المخمر الجيد .

أو لم يكن شأنهم مع كل ذلك عظيماً .

مدام بلواي : بما لا جدال فيه ان شأنهم كان عظيماً جداً
وعقلهم أوسع من عقلنا وروحهم أخف وألطف ولم يكونوا
يملون من الملهي والمسرات .

توري : اني اوافقك في هذا يا سيدتي غاية الموافقة لكني لا أريد أن أشتري لي سوء الهضم بجائنا ان طعام مدام فارز اللذيذ إنما جعل لاقبال نظام الجهاز الهضمي بينما كانوا يخوضون في هذا الموضوع، اغتتم ألبير الفرصة وكلم مدام فارز بصوت منخفض مادحاً سلامة ذوقها في تنظيم المائدة وتزيينها .

ان هذه الأزهار أهديت لنا في هذا الصباح وفي أيام الشتاء لا تحولو لي إلا أزهار الجنوب ويخال لي أن وردة كهذه - أخذت وردة وجعلت تقلبها بين أصابعها - تتدفق منها معان غزلية وتخيالات شعرية تسبح الناظر وتقر الخاطر حينئذ فكر ألبير في الوردة البيضاء التي في جيبه وكان أتى بها عن قبر ايشون ثم وجهت كلامها للفيلسوف قائلة : أسمعنا صوتك أيها الفيلسوف الفاضل لم لا تتكلم ؟ أبد لنا رأيك فيما يختص بطيبات المائدة .

بلواي - ان للمائدة شأنًا كبيراً في الهيئة الاجتماعية كيف لا ، وهي مجلبة للألفة بين الناس .

توري - أمتأكد أنبت انها مجلبة للألفة بين الناس . أنا أعرف سيدة شريفة تكاد تكون حياتها نعيمًا لو لم يفرض عليها مجالسة زوجها على المائدة وذلك لأنه يمسك البشوة بنوع مضحك يثير غضبها .

دسياس - وحتى الآن لم تطلب الطلاق

توري - انها تفكر في طلبه .

مدام بلواي - ما أكثر الطلاق في أيامنا هذه وبالحقيقة إنه
فرج للزوجين التعمسين .

توري - إن كلامك لفي غاية الصواب .

- ان مدام فارز شعرت بانقباض في أثناء هذا الحديث
وودت الانتقال إلى موضوع آخر خوفاً من ظن ألبير بأن محور
الحديث يدور عليه .

مدام بلواي - ان شرائع الزواج كانت ولا تزال ممقوتة
مكروهة .

دساس - هذا صحيح

مدام بلواي - إن الشرائع لم تسن لمن كان مثلك أو مثل
زوجي لكن للإشرار الذين يكونون على شاكلتهم وفي حياتي قد
رأيت فواحش وأهوالاً كثيرة .

توري - اني أكرر ما قلته لمدام فارز وهو ان هذا البيت
هو مسكن الأوهام .

مدام فارز - لا بأس من هذا الوصف فلاني أقبله بسرور
وسأحافظ على أوهامي دائماً لأنني أعبدما .

توري - مدام فارز تثبت أن عموم السيدات يحبن
أولادهن وانهن أمهات لا عيب فيهن ولا .. ولا .. ولا محل
للاتقاد عليهن .

مدام فارز - ويحك ماذا تقول ؟

مدام بلواي - ان الوالدات الفاضلات اللواتي لا يشينهن
عيب قليلات جداً واننا نرى الأولاد نظراً لجمالهم وقلّة
اكثرائهم بهم أصبحوا ضحية الزمان أو ألعوبة بين أيدي الموموم
والأحزان .

مدام فارز - ماذا تقولين لا أريد أن أسمع هذا الكلام

أودت - لكن هذا هو عين الحقيقة يا والدتي

دسباس - أخفتني يا اودت

اودت - ان الحقيقة تخيف أحد .

مادام فارز - وأنت أيضاً ماذا تقولين . ان الحياة لا تحتل
بدون الكذب والتخيلات والتصورات .

ألبيير - ان التخيلات القديمة قد استولت على قلوب سلفائنا
وهزت آمال سائر الشعوب .

فنظر حينئذ الدكتور توري إلى ألبيير ولم يجبه بشيء بل قال
لأودت :

نحن إذاً ندافع عن الحقيقة أيتها الأنسة اودت بدون شك .
وكانت مدام فارز تلاطف الجميع أجمل ملاطفة ثم قالت
لابنها : وماذا تتكلم مع مدام بلواي يا أبي .
دسباس - ان حضرة مدام بلواي تعرف بأني أعبدتها ليس
اليوم فقط بل منذ أيام طويلة أليس كذلك .

مدام بلواي - نعم

دسباس - وتريدين حبي

- نعم

- وتسرين به

- نعم

- وأنا أخبك إذاً على رغم الدكتور توري الضعيف الجسم .
واني أسر جداً عندما آكل بالقرب منه لأنني أعلم حق العلم أن
قابليتي الحيدة تجعله يقاسي عذاباً أليماً . ألا تقر يا حضرة
الدكتور بأنك تحسدني على قابليتي ؟

توري - لا أحسدك عليها لأنني عاقل

دسباس - وماذا تعني بكلمة عاقل ؟

توري - هل تظن أن لي صبراً على شرح أمثلة مختصة بعلم
النفس في هذه الساعة .

— انا لا أكلمك في دروس علم النفس بل كل ما أطلبه منك هو أن تعطيني برهاناً قاطعاً وحجة دامغة على أنك عاقل كما تقول.
توري : خفف كمية طعامك تصر عاقلاً من هذا القبيل . ان العقل يبين لي ان شرب المسكرات يحط من قدر الانسان فأتجنبها ولا أكثر من شربها .

بعد ذلك دار الحديث على فني الموسيقى والتصوير فارتاحت الى سماع هذا الموضوع مدام فارز ، وسألت ألبير هل ازعجه هذا الحديث فأجاب : لم يزعجني قط كوني مطمئنة من هذا القبيل لله ما أطيب قلبك ايتها الصديقة . ثم تبادلنا نظرة وابتهامة لحظهما الدكتور توري الذي بعد برهة قرب من مدام فارز قائلاً : ما اخفك يا مدام !

— ولماذا ؟

— لأنك لا تعتنين إلا بالآتي الجديد .

— وهل ألبير جديد ؟ انك تعنيه دون شك . اني أعرفه منذ ١٥ سنة وكانت زوجته صديقة حميمة لي .

— وهل ماتت زوجته ؟

— كلا بل مطلقة .

— أكانت تخدعه .

— بل كانت تعبه .

— إنذا هو الخائن .

- نعم .
- ان ذلك باد في محياه .. واين زوجته الآن ألا ترينها .
- اقترنت برجل آخر وهو الدكتور روجر .
- هذا كان تلميذا لي وهل هو زوجها الآن .
- لا تلفظ هذا بصوت عال لئلا يسمعك .
- يظهر ان هذا المسيو يعجبك كثيرا .
- ايها الدكتور الفاضل اني أحب اصحابي وأرغب في تسليتهم بأيام حزنهم .

وكانت أودت واقفة عند مائدة صغيرة تخاطب لسقال المصور وتريه بعض الرسوم التي صورتها في خلال ذلك الاسبوع وهو ينتقد بعضها مبيناً لها مواضع الاصلاح وألبير يسمع وينظر متأملاً جمال هذه الابنة الفتان ثم اقترب منها طالباً أن تريه التصاوير فقدمتها له الواحدة بعد الأخرى والابتسام ملء شفتيها فقال المصور : أرى عند الآنسة أودت استعدادا عظيما وميلاً شائقاً الى العمل فاذا داومت على هذا فانها لا شك تبرع في فن التصوير الجميل .

- فأبرق محياها سرورا ثم أتت أمها وقالت لألبير : ألا ترى ان عندها استعدادا كبيرا .
- نعم أرى ذلك وأهنئك .

دسباس : لا أنكر استعدادها ولكن لا لزوم لمثل هذه
الأهلية عند النساء .

امها : والدي يدعي ان سعادة المرأة تتعلق بالرجل ولكني
أرى ان المرأة تحتاج أيضاً الى الاستقلال نظير الرجل .

— ولماذا ؟

— كي تحيا حياتها هي أيضاً وذلك ان الانسان لا يحيا الحياة
الأدبية إلا متى تم له استقلاله وحرية .

— يا لها من غباوة ! وبعد أن تناول كأساً من الكونياك
ذهب الى مائدة اللعب داعياً بلواي الى لعب الشطرنج . وكان
ألبير جالسا بالقرب من مدام بلواي والدكتور توري يجانب
اودت التي أخذت تعزف على البيانو عزفاً يأخذ بالألباب كل
مأخذ، انما توري لم يكن مصغياً إلا للحديث الدائر بين مدام فارز
ومدام بلواي وألبير ، وأما المصور فشرع يرسم شخص اودت
بكل اتقان واحكام وهي تعزف على البيانو .

منذ أربع سنوات مرضت اودت فدعي الدكتور توري هذا
لمعالجتها ومن ذلك الحين اضحى الصديق الصدوق والمسامر
والأليف والجليل على مائدة طعام هذه الاسرة وكانت صاحبة
المنزل تصغي الى كلامه وتعمل بحسب مشوراته لأنها متأكدة انه
يجب اودت حباً أبوياً ويهتم بصالحها كاهتمامه بصالح ولده وكذا

اودت فكانت تحذو حذو والدتها وهما تنظران اليه كفرد من أهل البيت وترتاحان الى عشرته ومجالسته وتستدعيانه لمرافقتها الى الملاهي والمشاهد التي في باريس لتسليه الخواطر وتسريح النواظر. وكان توري يلبي الدعوة برضا وارتياح ويظن ان معاملة مدام فارز هذه لم تكن ناجحة إلا عن حب انطوى عليه فؤادها ولهذا أخذ يفتكر في الأشهر الأخيرة بأن يتخذها زوجة وتراءى له ان حياته تكون سعيدة معها وهي تساعد في نجاحه الاجتماعي نظراً لما هي منطوية عليه من حسن الذوق ولطف المعشر وحلاوة اللسان .

وهذه الأفكار لم تكن خافية عن والدها دسباس الذي رأى ان اقتران توري هذا بابنته هو في غاية الموافقة والصواب ولذا كان عندما يلح له الطبيب توري بشيء من هذا يحييه بعبارات تشف عن تمام الرضا والقبول .

ولذا امتنع توري من زيارة ألبير هذا البيت وحسب حساباً من مزاجته في مستقبل الأيام لأن ألبير كان من أولئك الذين لم يخلقوا إلا لمطارحة الهوى ومغازلة النساء لأنه كان ذا سطوة ونفوذ في قلوبهن وأعظم شاهد على هذا هو ان مدام فارز لم تكن تعامل أحداً قط بتلك الملاطفة التي عاملت بها ألبير في ذلك اليوم فان الابتسام كان يبرق بين شفثيهما كيفما نظرت وحيثما التفتت وتنبت من كلماتها حلاوة شديدة العذوبة والركة

بنوع لم يكن مألوفاً منها بالزمن السابق . لله ما أعظم الهشاشة
والبشاشة اللتين كانت تظهرهما له .

وعندما انتهت اودت من عزف الموسيقى نهض توري وقبل
يد مدام فارز معتذرا راغباً في الذهاب الى ملهى التمثيل فلم
تلح عليه بالبقاء عندها ، لأنها فكرت في نفسها بأنها تتكلم بحرية
اكثر مع مدام بلواي وألبير .

قد طال الحديث واتسع نطاق الكلام في ذلك المساء ولم
ينفرط عقد اجتماعهم إلا عند منتصف الليل وهم يدعون لمدام
فارز بالعمر المديد والعيش الرغيد .

الفصل التاسع عشر

نعم ان مرغريت تأملت جداً من رفض روجر طلبها وعدم
تتميمه مشتهاها وغاية متمناها وقد طالما اجتمعت في ان تنسى
بلانش تلك المرأة التي صبت سماً زعافاً في كأس حياتها الصافي
وقنزع من تخيلتها صورة ذينك الازدراء والتعجرف الذين هما من
اقل صفات بلانش وقد صممت النية وعزمت العزم الثابت على
ان تجعل نصب عينيها وموضوع افكارها اثناء الليل واطراف
النهار ، ولدها مكسيم وزوجها روجر الحنون الذي كل كلمة منه
بل وكل نظرة بل وغضبه ذاته كل ذلك كان شاهداً بيننا وبرهاناً
قاطعاً وحجة دامغة على شديد حبه لها وولوعه بها .

وكان يثلج صدرها ويخفف تأثرها من قلق افكارها عندما
تتذكر انه على جانب عظيم من معرفة هواجسها وما يدور في
خلدها لكن لدى ذكر ألبير الحلو وتمثل صورته في فضاء ذهنها
كانت تشعر بألم سري يخرق احشاءها ويمتد الى سائر أعضاء
جسدها ممزجاً بدمها .. إذ تتمثل صورته تشاهد عينيها حيث
يجول ماء الحنان الدائم وفي بحياه علامات الألم الذي لا يشفى

وتنظر شفثيه الباسمتين وقامته الممتازة وتسمع نغمة صوته الحزين
فيذوب إذ ذاك قلبها حناناً وتسيل مهبجتها شوقاً وهياماً.. وتحاول
ان تقصي هذا المشهد من أمام عينيه فيذهب اجتهادها عبثاً ..

تاقت نفس مرغريت الى العودة لبيتها وهي تظن متيقنة ان
قلقها سيذهب أدراج الرياح إذ ليس لديها بعد الرجوع أوقات
طويلة فسارغة لتتمثل الخيلة بعض الصور والتذكريات المبهجة
وهذا ما كان يحلم به روجر أيضاً حيث كان له تمام الثقة بها
متأكداً أنها لا تأتي أبداً بما يؤله ويخرج احساساته وكان قد
شرح لها كل عواطفه بأرق عبارات ، نقلها عن صفحات قلبه
ورردها على مسامعها مراراً وراجعها بأوقات متباعدة تكراراً
في انه لا يبتغي سوى سعادتها ! أو ليس هو القائل لها: أريد ان
تكوني سعيدة فلا أحلم إلا بهذا ولا طمع لي بسواه فان لم
تكوني كذلك فاني أحسب ذاتي أتعس الناس .

— اني سعيدة يا روجر .

-- هكذا أنامل بل أوصيك ألا تسمح لي لبعض الصور أن
تجول بأفكارك لأنها تضع سماً ناقماً في كأس سعادتك والسموم
أجناس وقطرة واحدة من بمضها كاف لإماتة شاربها . قاومي
قلبك وتصورات تخيلتك وضعي في عقلك ان لا عضد لك غيري
اقصديني دائماً في ابان همومك وأحزانك فان حيي لن يتخلى
عنك ابداً .

لدى سماع هذه الكلمات من فيه انطرحت بين يدي هذا

الرجل الرحب الصدر الكرمي الاخلاق الشريف العواطف
فانهضها قائلا : ها أنذا لك ما حيت . .

ان مدام موستل والدة مرغريت سرت سرورا لا مزيد
عليه عندما رأت ابنتها في صحة تامة فضلا عن اعتنائها واهتمامها
بشؤون البيت حينئذ حمدت الله وشكرته شكراً جزيلا أما
مرغريت فانها كانت تتجنب الذهاب الى البستان المعلوم حيث
الملتقى بالبير كما أنها أوصت المرضع بأن لا تذهب اليه البتة .
وفي ذات يوم شرعت تقص على والدتها ما جرى لهما في أثناء
السفر وما شاهداه من المناظر الجميلة والوجوه الغريبة وكيف
ذهبا الى مونت كارلو ذلك المكان المشهور بالمقامرة - دون ان
تذكر بلانش - وما شاكل ذلك قالت لها : نعم لقد تنزهت
يا ابنتي وسرحت ناظريك في مناظر لم ترها عيناك قبلا وهذا
لعمري ما يتطلبه سنك بل ان الانسان لا يستطيع في كل طور
من أطوار العمر أن يألف الوحدة والانفراد وقد سمي انساناً
لأنه يتطلب ويستدعي من طبعه الموانسة وألفة بني جنسه فهو
يعيش بينهم ويتعاطى معهم أشغاله وأعماله ويشاركهم في أفكاره
فتكون نتيجة هذا الاختلاط التفكك والتسلي فضلا عن الافادة
والاستفادة ، أما أنا فلاني ألوم روجر كل اللوم لأنه يبتعد عن
معاشرة الناس كما اني ألومك ولا أعذر لك لأنك لا تحرضينه على
ذلك وما أن زوجك أحسن الرجال لكن فيه هذه الشائبة فقط
فسبحان من تنزه عن النقصان . نعم ان روجر هو مخطيء بهذا
المعنى فقط . ولم لا تزورون بعض الاصحاب والمعارف ثم

تستقبلونهم نظير سائر الناس ؟ ترى ألا يوجد غير سلفتك وزوجها وأولادها على وجه البسيطة ؟ فحبذا الزواج وآله انما التفنن في المعيشة أمر جوهرى ولاغنى لأحد عنه مطلقاً وخصوصاً لمن كان مثلك .

بعد أن فاهت بهذه الكلمات رأت ابنتها ان كل ماقالته صوابي وواقع في محله وقد تصورت ان كل ضجرها ناتج عن الانفراد والوحدة ثم قالت بلطف : لقد صدقت بما نطقت يا أماء بل هذا هو عين الحقيقة لكن ... في حالي الحاضرة قد يعسر الخروج بتواتر !

— وماذا تقولين يا مرغريت ان كل أحوالك لا لوم بها ولقد طويت أطوار حياتك حتى الآن بنوع لا يقبل الانتقاد وأما زوجك فإنه رجل تفرد بالصدق والأمانة والاستقامة كما لا يخفى على كل من عرفه أو سمع به .

— نعم لكنني .. مُطَلَّقة .. وعلاوة على ذلك ان اتحادي بروجر ليس كنسياً ..

— ابعدي عنك هذا الفكر المبين يا ولدي .. اتحادك بروجر ليس كنسياً ! هذا حديث خرافة . تعلمين اني لست بكافرة بل أحب الله وشريعته من كل قلبي . ليس اتحادك كنسياً ومع ذلك أراك أحسن بكثير من اللواتي تزوجن في الكنيسة وأهلاً لأن تحسدك النساء اللائي ليس لهن زوج كزوجك صاحب الأخلاق

الكريمة والأدب الرائع. فشكراً لذوي الذوق السليم الذين سنوا
شريعة الطلاق إذ بها تتخلص المرأة الآمنة من رجلها الخائن .
الحمد لله تعالى على انفصالك من ذلك الذي لا يليق بك .
أما زوجك الحالي فهو والحق يقال كنز ثمين تحسدك عليه بنات
جنسك .

فتنهدت مرغريت وقالت : وبعض الأمور لا يكون إلا
تعاسة .

— إنني أوافقك في هذا فقد تعذبت كثيراً في ماضي حياتك
فعليك إذا أن تستأصلي ذكر هاتيك العذابات من فكرك .

غيري أسلوب معيشتك هذا ، اذهبي مثلاً لزيارة مدام فارز
صديقتك القديمة . وقد سألتني عنك عندما التقيت بها في إبان
غيابك عند بائع القبعات ، وهي تستقبل يومي الأربعاء والسبت
ولا يخفى عليك انه يزورها كثيرون من ذوي الأفكار السامية
والآداب الفائقة والذكاء الرائع ، زورها من وقت لآخر وانظري
ما ألطف ابنتها اودت التي اشترت لها أمها قبعة من أجل القبعات
هناك ، تتعرفين ببعض السيدات النبيلات حيث تتوفر لديك
أسباب اللهو والتسلي ولذة الاجتماعات العالمية التي تنبه الفكر من
غفلته وتوسع دائرة العقل وتنعش القلب . هذا وقد ألحت عليّ
تلك السيدة النبيلة بأن أبلغك وافر أسواقها وتحياتها بعد أن
سألتني عنك باهتمام كثير .

— لله درها ما أطفها ، نعم ، كنت أحبها كثيراً في الماضي
وسأفتكر في هذا الأمر وأطلب فيه رأي روجر .

— حسناً تفعلين . وإذا وجد مانع من جهة مكسم فإنني
لا أفارقه ولا دقيقة واحدة في غيابك وأبقى بقربه حتى رجوعك
من زيارتك .

— أشكرك يا والدتي غاية الشكر

— انك بكيت كثيراً بالماضي يا ابنتي وقد نظرت دموعك
الجارية واطلعت على جميع أحزانك فدعيني أن أراك ضاحكة
مسرورة القلب قريرة العين قبل أن أموت .

ان كلمات مدام موستل هذه وقعت موقعاً حسناً في قلب
ابنتها بل كانت كقطرات ندى على قلب يتلهب ظمأً وبعد بضعة
أيام عازمت مرغريت على أن تزور مدام فارز من غير أن تخبر
روجر بذلك .

الفصل العشرون

لم ينفك ألبير عن التردد إلى بيت مدام فارز حيث كانت مرغريت موضع أحاديثه الطويلة ومدام فارز تسمع كلامه شاعرة بأن ناراً محرقة تلتهب في أحشائها فتصعد إلى ناظرها ووجنتها وهي تعجب كثيراً من حنين ألبير إلى زوجته لأنها كانت تعتقد أن وداد الرجال لا يكون إلا كسحابة صيف ثم تنقشع . ومضى تواري عنهم من هو موضع حبهم أو التزموا أن يبتعدوا عنه لسبب من الأسباب أو غير ذلك خمدت تلك النار المحرقة وأصبحت آثار ذلك الحب هباء منثوراً .

وإذا كانت تسمع حديث ألبير المملوء من آيات الحنو والعواطف الغزلية الشريفة جعلت تلوم نفسها على اعتقادها ذلك في كل الرجال دون أن تفرق بينهم أو أن تعرف البعض منهم معرفة خاصة وكانت تأسف على ماضيها لأنها لم تحب فيه إذ كانت ترغب في الحب الحقيقي الخالص الدائم .

وكان ألبير لا يمل عن تعداد مزايا مرغريت وسجاياها ويثني

على سلامة قلبها وأمانتها ويسأل مدام فازر متعجباً من انها كيف أمكنها أن تبتعد عنه ونرضى بالاقتران مرة ثانية . فتجيبه بأن غدر الرجل يفوق صبر المرأة واحتمالها ويصعب على الانسان أن يثق بشبات حب شخص يخونه وعندما سمع هذا منها في إحدى المرات هتف قائلاً : هذا فكر نسائي بل جنون محض .

— هل تقدر أن تحب امرأة خدعتك وهل تعتقد صحة حبها لك ؟ .

— يوجد فرق بين هذا وما نحن بصددده .

— فيما يتعلق بالاحساسات لا فرق بين هذه الحالة وتلك وعليه فإنني أعذر مرغريت التي لم تكن تبتغي إلا أن تدوم على عهد الأمانة .. لكن دعك الآن من هذه الأفكار التي تزعجك وتقلق راحتك . أما اودت فكانت تسر كثيراً في عشرة ألبير وتباحثه مراراً في شؤون هذه الحياة ومشاكلها الصعبة وهو يكلمها عن الحب مبرهناً لها انه موضع الحياة الدنيا ولولا الحب لما وجد الشعراء والمصورون والموسيقيون وغيرهم من ذوي الفنون وأصحاب الشهرة ، وكانت اودت تسمع هذا الكلام بغاية الانتباه والاصغاء وتتمن التأمل فيه من غير أن تجيب بشيء أما مدام فازر فكانت تسخر بهما قائلة لألبير انه غير خالٍ من الجنون ولو قليلاً ، وأن كيفية الحياة على غير ما يعهد ، نعم انه يتألم لأنه لا يعرف كيف يحيا . وفي ذات يوم كانت تتحدث مع ابنتها

اودت في شأن ألبير هذا فقالت اودت : يجب أن يتزوج هذا الرجل يا أمي فإنه شاب .

— هو كهل فإنه يناهز الأربعين ، أمّا هذا تقدم في السن ؟

— لا . أنا لا أبالي قطعياً بتقدم الرجل في العمر إذا كانت صفاته تعجب وترضي فلو خيرت بين ليونارد دي فانشي البالغ عمره ٨٠ سنة وبين أجمل شاب من شبان عصرنا هذا لاخترت الأول بدون تردد . حينئذ ضمت ابنتها إلى صدرها وقبلتها .

أما البير فكان يغذي صبره بالآمال وينتظر انتظار هلال العيد انبثاق فجر الغد علّه يرى ذلك الشخص الذي أحرمه لذة النوم في لياليه الطويلة ويعتاض برخيم ذلك الصوت عن كل ما يراه ويسمعه . نعم كان يقول مراراً : ستمعود مرغريت وتدرى بكل ما قاسيت واحتملت من جراء بعادها وإذ ذاك تشفق عليّ وتعود إليّ كالأول فحبذا تلك الأيام !

الفصل الحادي والعشرون

في ذات يوم من أيام شهر مارس البهيجة والساعة الرابعة بعد الظهر كانت مدام فارز تجامل زائريها وبينهم شقيقتان آنستان تسمى الكبيرة منهما ماسكا والصغيرة فدورا ولم تكونا جميلتي المنظر بل قبيحتي الشكل تجلل ملابسهما «التخاريم» والشرائط الكثيرة ولا تحلمان إلا بالزواج إذ كل واحدة منهما تتجاوز الثلاثين سنة . وـ مدام فارز تدعوها غالباً لزيارتها وتستقبلهما بلطفها المعتاد وخصوصاً بما أن ماسكا كانت ذات صوت رخيم يخلب الألباب ويأخذ بها كل مأخذ واودت كانت تقول لها كل مرة : لو كان صوتي نظير صوتك لكنت الأولى بين الممثلات في الاوبرا .

وبينما كان موضوع الحديث الأصوات الجميلة أخذت مدام فارز تطنب في مدح صوت الأنسة ماسكا وحذا حذوها مصداقاً هذا كاميل بليه فأبرقت اسيرة وجه ماسكا الذابل وعرضت

على الحاضرين أن تغني على مسامعهم بعض الألحان فأجابوها بالقبول بكل مسرة وارتياح وحينئذ جلست اودت حذاء البيانو ، وعزفت أولاً بقوة شديدة حتى دوت القاعة ثم خففت العزف شيئاً فشيئاً إلى أن ظهر صوت ماسكا الفتان المطرب وهكذا فإنه لم يزل يرتفع ويحوم ويدور في فضاء تلك القاعة حتى سكر السامعون من سماعه ومالت أعناقهم . على أن الذي كان يزيد بهاء هو انها كانت تلفظ بتأن الكلمات الغرامية والعبارات التي تدل على الحزن في ذلك اللحن الذي بدأت به . وكل ذلك كان يجري في قلوب السامعين كقوة مغنطيسية أو سوائل كهربائية فتشنجها ..

فأسند كاميل رأسه على يده وتراءى له كأنه غاب عن عالم الوجود وانتهى إلى جنة النعيم حيث يسمع أصوات الملائكة التي بلا شك تشبه هذا الصوت الرائع . أما مدام فارز فإنها أدارت رأسها إلى الوراء وأخذت تسيل دموعها بكثرة وكاد قلبها يتفتت لعظم وقع هذا الصوت وتأثير تلك المعاني فيه .

وبينما هم كذلك إذ قرع جرس الدخول فنظرت ماسكا إلى الباب وهي وجلة فلم تر أحداً وما انتهت من ترنيم ذلك اللحن الساحر إلا احتضنتها مدام فارز وأشارت إلى اودت بأن تحضر وشاحاً صغيراً من الصوف الناعم لتلف به عنقها فامتثلت لأمر والدتها وما كادت تصل إلى جهة الباب حتى رجعت القهقري

وهي تقول : يوجد زائر بقرب الباب فنظرت مدام فارز إلى ناحية المدخل وإذا بالسيدة مرغريت مدام روجر فنهضت وأسهرت إليها ضامة يديها بين كفيها وهي تقول : أهلاً وسهلاً ومرحباً بك أيتها الصديقة العزيزة .

— اعذريني يا لويـزة لأنني كنت قرعت الجرس ولم أدخل لئلا أقطع هذا الصوت الجميل ثم جلست بالقرب من مدام فارز بعد أن سلمت عليها اودت ثم قالت صاحبة المنزل : بالحقيقة يا مرغريت ان زيارتك هذه لقد سرتني جداً !

— لله ما أطيب قلبك يا مدام فارز حقاً اني لا أستحق صداقتك هذه بعد أن جافيتك كل هذه المدة . وقد أخبرتني والدتي انك التقيت بها بأثناء غيابي فسألتها عني وكل امارات المودة على محياك وها أنذا أتيت أشكرك « وبغضون ذلك كان قلب مدام فارز ينبض بسرعة لأنها كانت تخشى دخول البير في تلك الساعة » .

— نعم أرى من الواجب عليّ أن اسأل عنك يا عزيزتي مرغريت ! وكيف حالـك الآن ؟

— الحمد لله صحتي عادت إلى ما كانت عليه قبلاً وسفرنا كان جيداً للغاية .

— وكيف مكسيم نـجـلك المـحـبـوب

— هو في صحة تامّة الحمد لله اني مسرورة جداً برؤيا ابنتك
اودت وأراها تغيرت جداً عن السنة الماضية . ألا تزالون ترغبون
في الموسيقى كالأول ؟

— أنا أعبد الموسيقى التي برعت فيها اودت براعة تامّة فهي
تعزف باتقان لا مزيد عليه . لكنها لا ترتل لسوء الحظ .

— ومن هي ذات الصوت الجميل التي كانت ترتل عند دخولي؟

— هي آنسة روسية وأما التي ترى جالسة بقربها هي اختها.
فهل تريدان أن اعرفها بك ؟

— لا بأس من ذلك بل أقبل هذا بغاية المسرة . وبعد التعارف
شرعت مرغريت تقص عليهم ما شاهدت في سفرها وفي أنشاء
ذلك دخل الدكتور توري وحيثاً مدام فارز فسامت عليه وعرفته
بمرغريت وعرفتها به .

فابتسم توري وانحنى احتراماً لها وجلس يحادثها بينما نهضت
مدام فارز لوداع تينك الآنسين وطال كلام الوداع عند الباب
— كما هي عادة النساء في كل اين وآن . ثم قال توري بجلالة هذا
مقدارها كان بينه وبين مرغريت معرفة قديمة : اني أعرف
زوجك حق المعرفة أيتها السيدة الفاضلة واني أعتبره اعتباراً
عظيماً .

— اني أسر بكلامك غاية المسرة يا حضرة الدكتور .

— ان مهنتنا صعبة وتتطلب وقتاً طويلاً وأنا أشفق على كل طبيب عنده امرأة جميلة ولذا ترينني أعزب . بعد هذا شرع يقص عليها بعض حكايات لها علاقة بحداثة روجر زوجها عندما كان تلميذه ويمدح ذكاه وأمانته ويطنب في وصف أخلاقه حتى أن مرغريت سرت سروراً لا مزيد عليه وشعرت من جديد بميل إلى روجر ولم يكن يخطر على بالها من قبل أن تفتخر بزوجها .

وقالت في نفسها . ان منزلته كبرى بسين قومه ومعارفه والجميع يحبونه ويحترمونه فلماذا لا أحبه ؟

ثم في لحظة بصر خال لها أن البير ذكر فيا بين الواقفين بقرب الباب واعتقدت بأنهم يذكرون ماضيها فاصفر وجهها وامتنع لونها وقد لحظ الدكتور توري هذا التأثير . ثم عادت مدام فارز وبرفتها سيدتان اخريان فاستغنمت مرغريت هذه الفرصة ونهضت مستأذنة بالذهاب فحاولت مدام فارز ان تجلسها فادعت أن والدتها تنتظرها لتذهباً إلى مكان آخر .

— كدرتني يا مرغريت عديني بأن زيارتك تكون أطول بالمرّة الآتية .

— نعم أعدك وأنتظر مع اودت .

— لا شك بهذا نوبي عني بتقبيل خدي مكسيم مراراً .

وعندما مدت مرغريت يدها لتوري ضغط عليها قائلاً :
أرجوك أن تبلغني حضرة الدكتور بأن معامه لا ينسأه واني
أهنئه بزوجه الجميلة واعتبر ذاتي سعيداً أيتها السيدة لتسرفي
بمعرفه حضرتك .

خرجت من البيت وهي تفكر في البير رغماً عنها وكادت
تندم على هذه الزيارة .



الفصل الثاني والعشرون

قالت اودت لأما لما خلاهما المكان : كيف تصنعين بعد الآن باستقبال مدام روجر ؟

— الخواجا البير لا يزورنا في الأيام الرسمية ومرغريت كانت صديقتي الحميمة فليس يوسمي إلا أن أستقبلها نظير الماضي .

— نعم لكن يستحيل علينا استقبال الطرفين وهذا غير ممكن !

— لا أظن أن مرغريت تتكدر إذا علمت بأنني أستقبل زوجها الأول لأنها كانت تحبه كثيراً .

— كانت تحبه أولاً في الماضي وهي الآن زوجة رجل آخر .

— لا أعلم كيف العمل ولكن على أي الأحوال انها لا تعود إلى هنا قبل أن تزورها وستفتكر في هذا الأمر إنما الخواجا دسباس والد مدام فارز استصوب رأي اودت مشيراً إلى ابنته

بأن تحبب الطرفين بالواقع فانتفضت اودت قائلة : ليس من الإنسانية واللياقة أن تخبر البير إذ لا صديق له سوانا ولا تعزية له إلا بزيارتنا مع أن مدام روجر هي في غنى عنا والشاهد على هذا انها لا تزورنا إلا في النادر . فقال دسباس : ان الحق معك يا اودت وهذا عين الصواب .

— أمي ليس عندها جراءة .

— نعم ولكن لا أقدر أن أمس احساسات أحد ويخال لي أن مرغريت ليست راضية عن حالتها .

— كيفما كانت حالتها ان الذنب لا يقع إلا عليها ومن جهة الزيارة ليس لها إلا أن تلوم نفسها لأنها هي البادئة بها .

كان دسباس يستقبل زائريه في منزله يوم الأحد فحينئذ تذهب ابنته واودت لتناول الطعام معه ثم تهتمان بجملة ضيوفه واكرامه . وفي الأحد التابع لزيارة مدام روجر كان دسباس يلعب مع اودت بالشطرنج ، وفي الساعة الرابعة بعد الظهر دخل الدكتور توري فهتف دسباس أهلاً وسهلاً بطبيينا النطاسي العظيم !

فأجابه مازحاً : اجلس من غير قيام فإنني لست غريباً هنا .

— دعنا نلعب وحدنا وتحدث مع مدام فارز

فقالت له هيا بنا إلى الصالون الصغير لأننا لا نقدر أن نتكلم
هنا إلا بصوت منخفض ثم ذهبنا إليه وجعلت تنظر إلى الصور
المعلقة على الحائط وقالت : هل رأيت الصور الجديدة التي اشتراها
أبي يا حضرة الدكتور ؟ .

— لم أرها بعد

— ها هي تعال وانظريها . فجعل ينظر الواحدة بعد
الأخرى إلى أن قالت تعجبني هذه البنية الصغيرة وأما رؤية
تلك فتحزنني .

— ولماذا تحزنك يا سيدة ؟

— يظهر أنها تندب حبيبها فأنا متأثر من النظر إلى هذه
الابنة المسكينة على رغم استخفافي بدموع المحبين .

— نعم واعتقادك بسنة الود غريب حسبما يبدو لي دعيني أولاً
أن اهنئك بصدافتك لرجل وامرأة مطلقين وهل يعرف البير
أنك تستقبلين زوجته .

— لا توجد أسرار بهذه الزيارة وما من سبب يدعوني
لإخفاء ذلك .

— رأيك في محله .

ان توري كان يشتم من رائحة كلامه علامات الغيرة ظاناً

بأنها تسر بذلك إذ تتخذها شاهد حب وميل إليها ولم يعلم أن مداخلته في ما لا يعنيه جعلته ثقيلاً غير محتمل ، بما أن صداقة مدام فارز له كانت ساذجة مجردة عن كل غاية وعندما سمعت كلامه هذا غشى الاصفرار وجهها واستشاطت غيظاً وكدرأ وقالت له : أرجو منك أن لا تتداخل في أموري لأنها لا تعنيك .

— حسناً تقولين يا سيدتي . انما تعنين ان صداقتي ثقل عليك .

— لا أريد ان يتعرض أحد لأمر سيرتي وسلوكي فأني مطلقة الحرية في سائر شؤوني . نعم اني أزور وأستقبل وأود من أشاء . قالت هذا ودخلت غرفة اللاعبين دون أن تعبا به وجلست ازاء والدها وابنتها وبعد برهة وجيزة نهضت اودت مسرورة وهي تقول : غلبت جدي فأنا غالبية وهو مغلوب . قال انها ابنة تخيف ثم سأل أمها عن توري . فأجابت في القاعة ينظر إلى الصور . فتبعه إلى حيث هو ثم اقتربت اودت من والدتها ولثمتها فشمرت بارتعاش يديها .

— ماذا جرى يا والدتي أرى يدك كقطعة ثلج !

— لم يحدث شيء . هل تحبينني يا اودت ؟

— وأعبدك عبادة أخبريني ماذا جرى ؟. ثم دخل دسباس
وقال : ماذا حدث ، وأين ذهب توري يظهر لي انه قد انسل
(على الموضة الانكليزية) ولم يزد على هذا شيئاً ، إذ لحظ اضطراب
ابنته ففهم انه جرى لها ما يكدرها من جهة توري .



الفصل الثالث والعشرون

ان الدكتور توري ثاني يوم اجتماعه بمدام روجر ذهب إلى ابنتها وسلم الخادم بطاقة لها فاستغتمت والدتها هذه الفرصة لإعداد مأدبة بليلة سرور وحظ في بيت ابنتها وأفهمتها أن تحت زوجها لأن يكون توري من المدعويين فراق هذا الفكر في عيني روجر مريداً أن يشكره على مدحه إياه أمام زوجته لكنه لم يفتن بمن يدعوه معه ، فقالت مدام موستل يمكنك أن تدعو ليس وزوجها وصديقنا القديم - لبران هاليه - الذي صادفته بطريقي في الأسبوع الماضي وقد سألتني عنكما باهتمام والدكتور توري ويمكنك أن تجد مدعواً آخر من أعز أصحابك ونحن ثلاثة ولا ينقص سوى تعيين اليوم ومرغريت تكتب بطاقة تدعو بها توري فماذا تقولون ؟

فصادق روجر ومرغريت على هذا الرأي . ثم اختلت مدام موستل بابنتها وقالت كظافرة هل نظرت ما أطيّب قلب

زوجك . سري وابتهجي بعيشتك يا بنيقي واتزعي عن وجهك
هذه الهيئة الحزنة . وماذا ينقصك يا ترى ؟

فتنهدت مرغريت قائلة لا ينقصني شيء .

ثم وصلت اليس وزوجها من فرساي قبل باقي المدعون
وتركت زوجها في منزل أخيها وذهبت تقضي بعض الشؤون في
المدينة . أما زوجها القبطان (تورسي) فكان خفيف الروح
حلو الحديث بهي الطلعة يعجب كثيراً بمرغريت كما أنها كانت
هي أيضاً ترتاح إلى مجالسته ومحادثته وكانت في ذلك اليوم
متبرجة ومزدانة بأحسن زينة ، لابسة ثوباً رمادياً جميلاً للغاية
وشعرها الذهبي يلمع فوق وجهها المنير الناصع البياض المزوج
باللون الوردي . فتأملها القبطان تورسي طويلاً ثم قال لها :
يخال لي اليوم أنك مرغريت الأولى نعم من حين دخولك بيت
روجر هذا تهملين نفسك ولا تعتنين بملابسك كالأول .

خال لها ان القبطان عرف فكرها وما يختلج في أعماق
صدرها وانها لم تتبرج إلا لأنها افتكرت بالبير ولهذا احمر
وجهها ثم أجابت : لا تذكر الماضي يا هنري .

- ولماذا يا مرغريت . أنا متأكد كل التأكد أنك لم تذبني
في الماضي ولا محل للانتقاد عليك بالحاضر . وكانت حينئذ
زوجته داخلة بالباب فسألته : ماذا كنت تقول ؟

- كنت اردد على مسامع السيدة مرغريت آيات حيي لها
معرباً لها عن عواطفى .. وأنت تعلدين عظم مودتى لها .

- ان قولك هذا ينافي العقل والصواب على خط الاستقامة .

ان الدكتور توري قد أظهر من الهشاشة والبشاشة والالطف
والدعة ما لم يكن يعمد فيه من قبل روجر وكثيراً ما بالغ في
الاطراء على صفات روجر وحسن أخلاقه ، والخلاصة انه كان
موضوع كلامه حتى ان مدام تورسي نظرت إلى أخيها نظرة
المتعجب . وبعد تناول الطعام اتخذ مدام موستل موضوع اهتمامه
واعتنائه فنهض وجلس بالقرب منها وهو يمدح ويشني على ذوق
اولطف ابنتها وذكاء وأمانة زوجها مؤكداً لها انه سينجح نجاحاً
عظيماً ويشتهر اسمه بين قومه فأجابته : ان ابنتي مرغريت قد
سرت سروراً لا مزيد عليه بمعرفة حضرتك .. وأنا أتأمل انها
تذهب من وقت إلى آخر إلى مدام فارز صديقتها . فله در هذه
السيدة ما أطفها وألذ عشرتها !

فصمت توري وأظهر ارتباكاً متلعثماً أو كان لا يدري بماذا
يجيب ولكي يخفي ارتبাকে هذا مكن نظراتيه تحت عينيهِ
فلاحظت ذلك مدام موستل .

- وهل حضرتك تزور مدام فارز يا دكتور؟

- كنت أزورها في الماضي لكنني أرى من الآن وصاعداً أن
لا حاجة لها إلى أصدقائها القدماء

- هل تسمح لي أن أسألك ما سبب ذلك ؟
- السبب في غاية السذاجة .. وهذا أمر لا يهمني كما انه لا يهمني ..
- وما هو . ولم لا تصرح بكلامك ؟
- هو صهرك القديم ولا أذكر اسمه خوفاً من أن يردده الصدى . نعم هو يتردد دائماً إلى بيتها وهي تستقبله بكل حرية ولا تخفي هذا على أحد
- وهل تظن أن صداقة ...
- نعم صداقتهما تنتهي بالزواج . وعندي شواهد تثبت هذا الظن .. لكن هذا لا يهمني .. وكل منهما طليق الحرية ..
- هذا صحيح ولا جدال فيه .
- لكن يخشى من زيارات مدام روجر وتردها إلى هناك ..
- فأنا أخبرتك بهذا الخطر الممكن وقوعه مراعاة لحقوق الصداقة .
- فهل أنا مخطيء في ذلك ؟
- كلا فأني أضحيت في غاية الامتنان لشعائر حبك ومن أعظم الشاكرات .

الفصل الرابع والعشرون

انصرف المدعوون الواحد بعد الآخر أما مدام موستل فظلت قلقة البال مضطربة البلبال لما انبأها به الدكتور توري أخيراً خرج روجر لعيادة المرضى وبقيت مرغريت وحدها في حجرتها حيث أضاءت النور الكهربائي ووقفت أمام المرآة ترى ذاتها فسمعت كلام هنري يرن في أذنيها وهو : يخال لي اليوم انك مرغريت الأولى ..

ثم نظرت إلى ذاتها مندهشة وقالت : وماذا تغير في عن الماضي ؟ نعم انه مصيب في كلامه ان ماضي لا يهدم وما من قوة أرضية تقدر على هدمه لأنه حي في قلبي .. نعم ان ماضي حي وسيحيا إلى الأبد .. ان مصارعتي لنفسي لا تجدي نفعا .. وأراني أجتهد في محو رسم ألبير من تخيلتي غير أن شوقي يزداد إليه كل يوم وودي له ينمو في كل ساعة .

ترى هل نسيني بل لم لا يكتب لي ويسأل عني ؟ ومن يعلم ان

لم يكن انشغل عني بغيري ؟ نعم طالما تمنيت الابتعاد عنه اتماماً
لواجباتي . غير اني اصارع قلبي وفكري بدون فائدة على ما أرى .

ان واجباتي تنهاني عن البحث عنه والتوصل إليه والتمتع
بحديثه الرائع ، لكن من جهة أخرى لي الحرية بأن أحبه وأميل
إليه وأشتاقه .. بل وأبكيه كما لو كان تحت التراب .

ثم أجالت طرفها في ما حولها وهي مذعورة فشعرت بألم في
قلبها وأغمضت عينيها ثم فتحتها وصوبتهما نحو صورة وحيدها
مكسّم عند ذلك ابتسمت لهذا الوجه الصبوح الجميل وشعرت
بقبلاته اللذيذة ودعته لمساعدتها ليحميها من ذكر البير .. وهيئات
ذلك . وكان رسم ايثون معلقاً فوق صورة مكسّم .

عندما رأت رسم ايثون وهي مائتة تحديقها الأزهار غلى
دمها وجرى مسرعاً في عروقها ، ثم بسطت ذراعيها وهي لا تعي
على شيء لكنها ترتعش شوقاً وحزناً ، ثم ضمتها إلى صدرها
وأغمضت مقلتيها ولفظت بصوت مرتفع تلك الكلمة المحرقة
التي كانت ترفرف دائماً على شفتيها . ألا وهي : ألبير !

الفصل الخامس والعشرون

أتى جان فارز بيت والدته في عطلة عيد الفصح حيث قضى
٨ أيام بين حنان أمه ودلال شقيقته غير أن البير لم يأت في ذلك
الأسبوع . وفي غد رجوع جان إلى المدرسة سألت اودت أمها .
هل عندك من خبر عن البير .

— لا يا عزيزتي أجابت ذلك باضطراب فلاحظت اودت
خطراً بها لذلك دنت منها قائلة : وهل كتبت له ؟

— لم أكتب ولا افكرت فيه لأنني انشغلت عنه بأخيك جان .

— أو لم ترسلي أحداً يسأل عنه ؟

— لم افكر فيه إلا الآن ولا علم لي بغيابه عنا كل هذه المدة .

— يناسب أن تكتبي له يا والدتي ان كنت ترومين .

— قصدي أن أكتب له وأرسل الرقيم مع الخادمة لتأتينا
بالجواب المعجل .

— أكتبي حالاً بدون إبطاء . فجلست مدام فارز أمام مكتبها وبعد أن كتبت الرسالة أرسلتها مع الخادمة إليه ثم تابعت أودت حديثها وقالت : ان البير تعس يا أماء .

— نعم انه تعس جداً

— وأرى من الواجب علينا أن لا نهمله

— ومن منا يهمله ؟

— اني أخشى عليه من صداقتك لمدام روجر . فإنها امرأة عديمة الشفقة !

فابتسمت مدام فارز وضغطت ابنتها على صدرها . بفضون ذلك عادت الخادمة حاملة جواباً من الخواجا البير ففضته وقرأت فيه ما يأتي :

سيدتي وصديقتي العزيزة

كنت مريضاً كل هذه المدة أما الآن فإني اتجهت إلى الصحة واني آمل أن يساعدني الحظ بزيارة حضرتك بأول فرصة تسنح حيث أتعزى باللطف عن الوحدة . وتفضلني أخيراً بقبول تحياتي الودادية . ثم دفعت الكتاب لأودت فقرأته وقالت لأمها : حسناً فعلت يا أماء بالكتابة لهذا الصديق المسكين .

في غضون ذلك وصلت إلى عند مدام فارز الآنستان ماسكا واختها وبعد التحية قالت ماسكا : قد كلفنا في هذا اليوم حضور

حفلة موسيقية في الساعة الرابعة بعد الظهر، فأتينا إلى حضرتك خصوصاً لتأذني لأودت بالذهاب معنا فإنها تسر كثيراً . فشكرتها مدام فارز وأثنت على احساساتهما النبيلة لأنهما تفتكران دائماً في بنتها . فأجابتا اننا نحبها كثيراً .

ثم خرجت اودت مع الآنستين بعد أن أذنت لها والدتها وعينت لها وقت الرجوع وصحبتهن إلى الباب الخارجي ثم عادت تمشي الهوينى حتى إذا وصلت إلى حجرتها ألقت بنفسها على مقعد هناك وقد انحطت قواها . بعد ذلك فكرت كيف أن ابنتها أسرع بالذهاب غير مبالية بترك والدتها وحدها دون أن تعتذر من جهة خروجها .. رأت نفسها منفردة وحيدة .. ووحدة هذه الساعة جعلتها تفتكر في وحدتها في المستقبل .. قالت ان ابنتي اودت ستزوج يوماً ما ، وكذلك أخوها جان فأصبح والحالة هذه وحيدة وكل من ولدي يكون ذا بيت هو موضوع أفكاره واهتمامه وأنا المسكينة من يعتني بي يا ترى ؟ نعم ان الذي يحبني حباً عظيماً لكن هذا المستقبل .. وبعد أن خطر في فكرها البير تنهدت : آه لو كان لا يكفي في ان يحبني هذا الشخص الله ما أنشف حياتي وأعمقها ! لعمرى اني لم أذق في كل أيامي الماضية طعم الحب اللذيذ ، ولم تمس شفتاي كأسه المسكرة .. نعم لقد مضى شبابي دون أن افكر في الحب أما الآن فلم يعد هذا بالإمكان فأنا أشعر والحالة هذه باحتياج إليه نعم أحتاج إلى حبه وميله !

ظلت وقتاً طويلاً بدون حراك وعيناها محدة بالأرض

متأمل بالبير المريض وكيف انه وحده لا أحد يهتم به فهو
يحس ليله ساهراً يتقلب على فراش الحمى والآلام ثم استولت الشفقة
على قلبها ودبت فيه حرارة جديدة وزفرت زفرة سداها الحزن
ولمحتها عظم الاكتئاب ثم نهضت تمشي في الحجرة وهي عازمة
على الإعتناء بالبير والاهتمام به .



الفصل السادس والعشرون

أشارت مدام فارز إلى والدهما بأن يذهب لعيادة البير المريض وعند رجوعه بادرت اودت لسؤاله قائلة : كيف حاله ؟

— حاله سيئة على ما أظن

— وماذا تعني بهذا القول ؟

فأسرعت مدام فارز من داخل وقالت : أنت يا أبتى تزيد في كلامك فتجعل الشيء الذي لا يذكر عظميا جسيا وتتصور أن صحة الجميع ضعيفة نظير صحتك .

— قولي مهما شئت وستريته بعينك لأنه ألح عليّ بأمر ذهابك لعيادته .

— وهل تذهبن يا والدتي ؟

— بكل رضا .

قال دسباس : كاد قلبي يتفتت اشفاقاً عليه وقد سألته بأن

أعوده بتواتر إذا شاء فرفض معتذراً بأن الزيارات تتبعه إنما طلب مني بلجاجة كلية بأن تذهبي إليه .

لم يمض سوى زمن وجيز حتى ذهبت مدام فارز لعيادة البير وعندما دخلت حججته نبض قلبها سريعاً حينما رآته ملقى على سريريه شاحب اللون منحط القوى فدننت منه ومسكت يده قائلة كيف حالك أيها الصديق الصدوق ؟

— ان حالي كما ترين أيتها السيدة النبيلة . قلبي ضعيف بطيء الحركة منذ سنين طويلة !

— وكيف لا يكون ذلك وأنت تفتكر دائماً في ما يؤلمك ويكدر صفاء معيشتك ! لله ما أطيب رائحة هذا النسيم المنعش الداخِل من هذه النافذة !..

قالت هذا ، لأن النافذة التي تطل على البستان الصغير كانت مفتوحة والنسيم العليل يتلاعب بفصوص أشجاره المختلفة وأوراق أزهاره ورياحينه المتنوعة ثم يهب في الفضاء حاملاً روائحها العطرية فينتشرها في غرفة المريض الذي هو أليف الوحدة حليف الوحشة والانفراد في دنياه هذه !

نظر البير بعينين منخفضتين إلى الخارج ثم حوّل نظره إلى رسم مرغريت وهو على القرب منه وقال : أريدها هي .. ومن صميم القلب أبتغي مرآها .

وضعت مدام فارز يدها على يده بلطف متأملة تلك اليد
النحيلة فرفع بصره إليها قائلاً : لا رجاء لي إلا بك أنت .

— بي أنا ؟ وماذا أستطيع أن أعمل ؟

فسكت برهة وقال بحرقلة لا مزيد عليها اذهبي قولي لها باني
مأثت لا محالة واروم أن اودعها الوداع الأخير .

— ماذا تقول ؟ تبصر بأمرك .. ؟

— تبصرت كثيراً وتصبّرتُ زماناً طويلاً وأمعنت النظر في
أموري ساعات متتالية إلى أن عيّل صبري وضاعت حيلتي
ففكري هو نديمي الوحيد ومرضي ناتج عن كثرة تفكري فيها
وقلبي يحدثني بأن أراها لأنها زوجتي ومق رأيتها شفيت لاهالة !
ولا أقدر أن أكتب لها رأساً بينما ان حضرتك صديقتها وتستطيعين
مقابلتها في كل وقت ، فاذهي إذاً وتوسلي إليها بأن تشفق على
صبري الواهي وجسمي السقيم وروحي الذائبة .. ألحي عليها بأن
تشفق عليّ وترق لحالي هذه استحلفيها باسم ايثون ابنتي . آه لو
علمت ايثون بحالي لظهرت لها في الحلم مشددة عليها بالاسراع
إليّ .. هل تفعلين معي هذا المعروف وترئين لحالي هذه ؟ أجيبي
بالايجاب أيتها الصديقة الفاضلة واني لاخالك فاعلة ذلك بالحال !

— نعم رأيتها وكلمتها أيضاً !

— هي زارتي منذ أيام وظهر لي انها سيدة قريرة العين ،
ناعمة البال . فلماذا تريد أن تقلقي راحتها ؟ فإن كنت تحبها حقيقة

دعها وشأنها وبعد هذا وذاك من يعلم ربما تغير قلبها من جهتك
كانت تحبك في الماضي .. أما الآن ..

- كانت تحبني ولم تزل حتى الآن بل زاد حبها على الأول !

- ومن أنباك بهذا ؟

- اسمعي . لا أشك في أمانتك على حفظ السر

- تكلم بحرية وكن على ثقة بكل أمورك .

- لله ما أطيب قلبك وأحسن أخلاقك يا ليت كل النساء
نظيرك نعم قد حدثت نفسي مراراً كثيرة بأن لو كان باستطاعتي
أن أحبك لعاد الهناء مائلاً حياتي سعادة وصفاء غير اني لا أقدر
أن أحكم على ذاتي فأنا أحب مرغريت .

- ان المرء لا يحب ويميل إلى من يشاء ومع ذلك ثقي بأمانتي
وأنا مستعدة لمساعدتك بأمورك الصعبة بقدر استطاعتي :

فأنتي عليها كثيراً وقبل يديها الواحدة بعد الأخرى ثم قص
على مسامعها تلك الاجتماعات التي جرت بينهما في البستان حيث
كانا يتعاهدان بالملافاة . وهل تظنين أنها لا تأتي بعد أن أفهمتك
كل هذا وخصوصاً إذا علمت بأنني ملقي على سرير الموت ؟

- أنت لا تموت الآن بل بعد عمر طويل .

- ربما إذا رأيته تعود إلى الحياة ، وان لم يساعدني الحظ
برؤيته فأني أموت حزينا . آه حقاً انه ليصعب عليّ شرح

ما بي من الآلام ان أفكاري تعذبني جداً . انها حية وتحبني
وأحبها وهي زوجتي ومع ذلك نحن منفصلان الواحد عن الآخر
وقبل أن ينهي كلماته هذه ضاق صدره وتنفس الصعداء ثم أغمض
عينيه ملقياً رأسه إلى الوراء ، فتناولت حينئذ زجاجة صغيرة
فيها رائحة منعشة كانت بالقرب منها وأخذت تنشق منها حتى
فتح مقلتيه ثم قالت له ها أنذا ذاهبة فكن مطمئناً

— لا شك أنها تأتي وافرحتاه .

— خل عنك الانفعالات النفسانية فإنها تضر بصحتك .

— لا تذهبي الآن انتظري قليلاً .

— لا بأس . فإنني لك مطيعة تناولت مروحة وجعلت تروّح
بها وجهه إلى أن ابتسم وأبرقت اسرته وامتلاً وجهه من سرور
الأمل وظهرت عليه امارات النشاط والعافية .



الفصل السابع والعشرون

انطلقت مدام فارز من عند ألبير حزينة النفس قلقة البال مضطربة البلبال لا تعي على شيء لا تعلم ولا تدري كيف تذهب الى مرغريت ومتى تذهب اليها ماذا تقول لها وبأي عبارات تبلغ امرأة ذات زوج هذا الكلام وكيف يسوغ لها ان تحرضها وتستقدمها الى رجل كان زوجها في الماضي وانفصلت عنه برضاها وفيما هي سائرة صادفت مركبة فركتها وأفهمت السائق بأنها تقصد شارع بروني متظاهرة بنسيان عدد المحل . قالت ذلك حتى اذا عدلت عن النزول أمام بيت مرغريت تعود بسهولة دون أن يعلم السائق شيئاً من تغيير عزمها : وفيما كانت كذلك نظرت الى ساعتها وقالت في نفسها : الساعة الآن ه وربما لا أجدھا بالبيت في مثل هذه الساعة .. مع ذلك يجب ان أتمم وعدي واذهب دون تغيير وكانت العربية تسرع بها حتى اذا بلغت الى الشارع المعين منها أعلنت للسائق عدد المحل المقصود وعندما انتهت اليه أعطت الخادم بطاقة زيارتها فذهب وعاد بعد

برهة يسيرة معتذراً عن سيدته من انها تتهيا للذهاب الى فرساي
ولا تستطيع مقابلة أحد في هذا الوقت .

فلم تكتف بهذا الجواب بل تناولت قلماً وقرطاساً وكتبت
بعض كلمات يسيرة أودعتها ضمن غلاف أرسلته ثانية مع الخادم
فلم يبطني ان عاد اليها يدعوها الى حجرة مرغريت التي عندما
رأتها حيتها بأرق الألفاظ معتذرة باستقبالها وهي تلبس ملابسها
لأنها عما قليل تتوجه الى فرساي .

— يا سيدة مرغريت هل يسمعنا أحد ؟

— لا أحد يسمعنا تكلمي هل من خبر جديد .

أريد ان اقول لك أمراً سرياً والأخرى . .

— قولي فاني أعرف كل شيء ..

— وكيف تعرفين ؟

— قلت لك أعرف وماذا يهمني ..

— نعم ولكن لا تفهمين غاية مجيئي الى هنا .. اني آتية من
قبل ألبير ..

-- لا يعنيني أمره ولا علاقة له بي وليس له عندي رجاء
البتة !

— انه مريض ولكن في حالة يرثى لها ويتوسل اليك أن تزوريه في هذه الحالة .

— وهل ألبير ذاته أرسلك لاقناعي بهذا ؟

— نعم هو استدعاني وكلمني بهذا الخصوص بكل إلحاح ولجاجة . وما أنذا آتية من عنده الآن .

قالت مرغريت في نفسها ان المسألة فيها نظر . وتذكرت ما حصل لها من الغيظ والغيرة عندما أخبرتها بما قاله الدكتور توري بخصوص ألبير ومدام فارز هذه . وكذلك لما ابتدأت مدام فارز بمكالمتها في ذلك ، فلم يكن هذا إلا بقصد طلب رضاها للاقتراض بألبير . قالت كيف يسوغ لهذه المرأة التي هي غريبة عن ألبير بالكلية ان تذهب الى بيته وتحادثه وتجالسه بل وتقرضه بينما اني أنا زوجته ومع ذلك لا أتجاسر على ذلك حتى ولا ان افتكرف فيه وكانت الغيرة في غضون ذلك تعظم في قلبها وتزداد في أفكارها حتى اضطربت كل اعضائها فأجابته بقساوة : جاوبيه بأن امره لا يعنيني مهما كانت حالته ولن اذهب الى بيته ما حييت .

— سأبلغه الكلمات عينها حرفياً لكن بقي عليّ ان اقول لك

كلمة كنت نسيتهـا وهي انه يستحلفك ويناشدك باسم ايقون
بأن لا تخيي أمله وهو على فراش الموت . قالت ذلك وخرجت
لا تلوي على شيء .



الفصل الثامن والعشرون

ولما وصلت الى الشارع تنفست الصعداء إذ خال لها أنه سقط
عن منكبيها حمل أثقل من الجبال الرواسي ثم أخذت تفكر في
نتيجة هذه المقابلة العقيمة من كل فائدة وكيف ان مرغريت
رفضت الذهاب الى ألبير مع انه هو ، هو زوجها الحقيقي أما
روجر فانه زوج مجازي لا اكثر. أحبت البير بالماضي ولا يزال
يعبدها حتى الآن وهي منفصلة عنه . وما هو طريق الفراش
ارسل يتوسل اليها مستحلفاً اياها باسم ابنتها بأن تمنّ عليه بزيارة
في مرضه هذا ، فأبت بدلا من ان تسرع اليه وتعتني به وتطيب
قلبه ! لعمرى ان العقول لعلى تباين عظيم في هذه الدنيا .

ثم بعد إمعان النظر وتردد الفكر في هذا الاستقبال الذي
هو في غاية الفتور ، أدركت مدام فارزحق الادراك ان ذلك ناتج
عن غيرة عرت مرغريت ، ولا بأس فانها معذورة بهذا المعنى
لا بغيره .

ان مدام فارز كانت قد اضطرب بالها منذ اجتمعت بالبير
أول مرة في العهد الأخير ولم تكن من قبل الا قريرة العين ناعمة
البال وبعد تلك المقابلة مال فؤادها الى ذلك الذي تدمي حالته
القلوب أما في المواجهة الأخيرة فكادت تبكي الدم لا الدمع
على حالته التي ترق لها القلوب الصخرية ثم عزمتم ان تبذل ما في
وسعها لتخفيف آلامه وتسكين أحزانه .

عندما وصلت الى بيتها استقبلتها ابنتها بشعر باسم وهي
تطوق عنقها ببيديها لائمه بتواتر وجنتيها والأم تلتذ بهذه القبلات
البنوية الحارة مصغية بجنو الى دقائق قلب ابنتها . قالت أودت :
اني استنشقت بشيابك رائحة شيء ينعش القلب ويحييه .

— نعم وقد نشقت منه رائحة ذلك العليل الصديق .

— وماذا حصل له ؟

— عسر تنفس .

— وهل من خطر على حياته ؟

— لا أظن . نعم أنه ضعيف القلب ولكن ذلك لا يميئ
حالا .

فأطرقت اودت برهة ثم نظرت في وجه امها فرأته شاحب
اللون .

— هل تشعرين بتعب يا أمي ؟

— أحس ببعض التعب يا ابنتي .

— أرى وجهك ممتعماً ولا قدرة لك على الوقوف فما هذا الضعف انك تعتنين بالآخرين ولا تلاحظين صحتك .

قالت هذا واجلستها على مقعد واضعة لها وسادة تحت رأسها وجعلت تنشقها الروائح والمنعشات الى ان شعرت براحة عظيمة فنهضت وقالت . أريد ان اغير ملابسي لأننا نتناول العشاء عند مدام بلواي هذا المساء .

— أنا لا أعرف ذلك يا أماء .

— اذهبي إذن والبسي وتهبسي واجتهدي لأن تكوني جميلة تستلفتين الأنظار .

— وهل تسرين اذا كنت موضوعاً لاستلفات الأنظار؟ .

— لا شك في هذا .

— ستكونين مسرورة لكن أناشدك بحياتك ان تقولي لي الصحيح عن حاله الأكيد وهل هو في خطر؟ .

— ما من خطر عليه لكن مرضه في فكره وتعلمين أن صحته نحيفة جداً .

الفصل التاسع والعشرون

بعد أن خرجت مدام فازز من عند مرغريت بنصف ساعة تقريباً رجع الدكتور روجر الى بيته وأخذ زوجته ليذهب بها الى فرساي حيث يتناولان العشاء تلبية لدعوة والديه . لكنه بهت إذ رآها جالسة ولم تزل بشوهدا الاعتيادي كأنها لا علم لها بأمر السفر . فقال لها : كاد الوقت يفوتنا يا مرغريت تحضري بالسرعة قبل ان يسبقنا القطار .

- أنا لا أرغب في الذهاب الى فرساي اليوم .
- ولماذا . هل تشعرين بألم ؟
- لا أحس بشيء لكن لا أريد ان أذهب .
- يلزم ان تتشجعي واذا ما ذهبنا فاننا نسبب الكدر للذين كلفونا بالحضور .
- اكتب لهم بأنه حصل لي صداع منعني عن الذهاب واني اعدم بالزيارة في يوم آخر .

— أنت لا تريد أن تذهبي وأنا كذلك فلا بد لي إذن من أن
أخبرهم بالتلفون بأن لا ينتظرونا .

— يمكنك أن تذهب إذا لمانع يمنعك . ومن جهتي فاني
أرغب في الاختلاء بنفسى بعض الأحيان !

— ها أنذا ذاهب وأتأمل أن أراك بأحسن حالة عند
رجوعي .

— أن شاء الله .

— وها أنا مرسل لك والدتك .

— لا حول ولا .. قلت لك انى احب الاختلاء فدعني الآن
وشأني وامض أنت والسلام .

ذهب روجر الى حجرة ابنه مكسيم وحمله بين ذراعيه وهو
يلثمه واتى به الى امه ووضعها على ركبتيها قائلاً : انى اترك
الواحد بحراسة الآخر والله يحرس الاثنين معاً وخرج .

ان مرغريت عندما قالت : لن اذهب الى عند أليير ما حبيت
ولا علاقة له معى الخ .. لم تكن تفتكر فى ما تقول . لكن عند
ما اختلت بنفسها بعد ان نام ابنها شعرت بنار شوق تحبها الى
الاجتماع بمن كانت تميل اليه ثم نهضت من غير روية والتفتت برداء
اسود وغطت رأسها « بشال » مخرم كانت تخصصه للذهاب الى
المسرح وتناولت قفازيها ومفاتيحها وكيس دراهم صغير وخرجت
من حجرتها إذ كان السكوت سائداً والظلام مرخياً سدوله وان

هي إلا لحظة عين حتى صارت عند الباب الخارجي حيث استقر
عزمها على الذهاب الى عند ألبير بدون إبطاء . فاستوقفت
مركبة رأتها هنالك وسارت بها وكانت الساعة التاسعة من الليل
ولما وصلت قرعت الباب ودخلت تقول للخادم : ان الخواجا
ألبير ينتظرنني .

— يا سيدتي ان الخواجا مريض جداً فأرجوك ان تخبريني
عن اسمك .

— أنا زوجته . فأنحنى الخادم احتراماً لها ومضى وما لبث
ان عاد مشيراً اليها بالدخول الى غرفة سيده فدخلت وصافحته
وهي تحديق به ولم تمض بضعة دقائق حتى أغشى عليه لعظم الانفعال
فألقي رأسه على وسادته وجعل يلث بشدة . فارتعشت مرغريت
وهمت باستدعاء الخادم لمساعدتها ولم يكن إلا القليل حتى فتح
عينيه ناظراً الى محياها المبلل بالدموع وقال : اني اراني الآن
أسعد رجل في هذه الدنيا . وبأثناء ذلك اخذت زجاجة
« كولونيا » وبدأت تفرك بمائها صدغي العليل ويديه فانتعش
وابتسم وأبرق وجهه ثم رفع نظره اليها ثانية قائلاً بجلاوة لا
توصف : مرغريت ا

— لا تتكلم اكثر . انا هنا .

نعم ان المحبين لا يحتاجون الى كثرة الكلام (وقد تنطق
العينان والفم ساكت) ثم ضغط على يدها هنيئة وشرع يعرب

عن حبه لها ويشكرها على اسراعها بالجيء اليه ، وبأثناء ذلك يقول : يا زوجتي وهي تشعر بأن صوته هذا يخرق في أعماق قلبها ثم تنظر اليه وقلبها يرقص فرحاً لأنها اجتمعت بزوجها الحقيقي بعد الانفصال عنه مدة ليست يسيرة فمثلها مثل العليل الذي يجد الصحة بعد المرض المزمن او الاعمى الذي يرى النور بعد الظلمة . وكانت عيناها تجولان في جدران الغرفة حيث الرسوم معلقة فرأت رسمه ورسم ايثون ورسمها مستندة على ذراعه . فحينئذ تفرق الدمع من عينيها ثم أجش الاثنان بالبكاء . أخيراً نشفت بمنديلها عينيها ووضعت يدها على جبهته ونظرت في مقلتيه باسمة وقالت . لا تبك سأرجع . وبعد نصف ساعة من وصولها نهضت تريد الرجوع ففهم ذلك ولم يعارضها أما هي فسألته . ومن يبقى عندك ؟

— ابقى وحدي . واذا احتجت الى شيء أدعو الخادم الذي ينام في الغرفة الثانية . فأطرقت برهة وهي تفكر في انه هل يوافق ان تبقى أولاً فرأت الأوفق ان تذهب لتتظر ابنها النائم وكان أليير يحرق بها قارئاً في ملامح وجهها ما يدور في خلدها ولولا القليل لصرخ بأعلى صوته من شدة الألم وهو يريد ان يرجوها لتبقى عنده ولا تتركه وحده لكنه تجلد وسألها بهدوء وهل تعودين ومتى ؟

— نعم أرجع بأسرع وقت ان قدرت أما الآن فلا بد من

ذهابي كي لا أشغل بال من في البيت بأمر غيابي على حين غفلة
 وربما أعود غداً صباحاً . فأجابه بلهجة مؤلمة . لا تذهبي . بل
 ابقيني هنا . فلم تجبه سوى بكلمة واحدة وهي . ولدي . فhez
 رأسه خاضعاً إذ رأى أنه لا بد من رجوعها ثم أمسك يدها
 اليسرى ناظراً إلى الاصبع الذي كان به خاتماً اتحادها الأول
 والثاني . فأشار إلى خاتم اتحادها بها وقال لها بصوت منخفض .
 أشكرك . فخنقتها الدموع لكنها تجللت وقالت . كن هادئاً
 مطمئناً يا ألبير وسأعود إليك غداً إن شاء الله وأبقى هنا حتى
 تتعافى بأقرب وقت وها أنذا استودعك الله وخرجت .



الفصل الثلاثون

عندما دخلت مرغريت الى حجرتها غيرت ثيابها وأسهرت الى حيث ابنها نائم فسمعتة يبكي ويصرخ منادياً . يا أماء مع ان الموضع كانت تحمله على ذراعيها وتسير به في ارض الغرفة وهو لا يزداد إلا صياحاً وبكاء فسألت امه عن سبب بكائه فأجيبته بأنه يتالم من إحدى أسنانه ولم يكف عن الصراخ حتى تناولته امه وحملته على ذراعيها وهي تلاعبه وتغني له أغنية محزنة وفي اثناء ذلك عاد الدكتور زوج من غيابه وبمروره أمام غرفة ابنه سمع صوت مرغريت التي كانت تغني للطفل بلحن محزن فلبث برهة مصغياً ليفهم المعنى ثم فتح الباب ببطء واذا بمرغريت لابسة ثوباً أبيض بوجه شاحب صفراء اللون فدنا منها وقال بلطف .
دعيني احمل مكسيم .

— هو لا يبكي الآن .

ففهم من هذه الجملة ان دخوله هو في غير محله لأن الولد ساكت فذهب حينئذ واضجع على سريره . ومضى وقت طويل ولم

تذهب الى سريرها فقام وحتم عليها بأن تنام فأطاعت لأنها
شعرت باحتياج كلي الى الراحة .

— لا تدع الولد يبكي فان صراخه يزعجني ! .

— نامي بحراسة الله ولا تخافي .

عندما وضع الأب ابنه بين ذراعيه سكنت سكوتاً تاماً
فانطلقت امه الى غرفتها ونظر روجر يشيخها وحينما اضجعت
نامت في الحال .

وقد رأت احلاماً مزعجة في نومها هذا منها : انها كانت
تمشي في أحد شوارع باريس حاملة ابنها على ذراعيها وكان يثقل
شيئاً فشيئاً حتى اضطرت ان تجلس على الحضيض إذ لم يكن
بوسعها ان تقوى على القيام والسير بعد .. اخيراً جمعت ما بقي
لها من القوة ونهضت وإذا بهوة كبيرة أمامها فلم تلبث ان سقطت
فيها وإذا بها منتبهة من نومها مدعورة مضطربة ..

ثم استوت على فراشها جالسة وهي تعيد في مخيلتها كل ما
كان جرى لها في نهارها على انها تنتظر بفروغ صبر طلوع الفجر
إذ ينشغل روجر بعيادة مرضاه وحينئذ تسمع لها الفرصة
بالذهاب الى ألبير .

الفصل الحادي والعشرون

ثم خرج الدكتور روجر وهو مشغول البال مضطرب الخاطر
سائلاً نفسه : ترى ماذا جرى لها نهار امس وما هو سبب غضبها
وأى شيء منعها عن أن تصحبني الى فرساي حسب العادة .
لعمري اني لم أقدر ان أعرف حتى الآن شيئاً ولو يسيراً بهذا
الخصوص .

وفي ابان الساعة العاشرة رأى روجر انه مضطرب لرؤية
زوجته فعاد الى بيته محتججاً بأنه قد نسي شيئاً فدخل تَوّاً الى
حجرتة وأخذ بيده رزمة صغيرة ماراً أمام غرفة زوجته التي
لم يَرَ فيها أحداً سوى الخادمة فسألها عن مرغريت فأجابته
بأنها خرجت .

— متى خرجت ؟

— باكراً يا سيدي .

— مع الموضع .

- كلا فان هذه ذهبت صبحه مكسيم منذ نصف ساعة تقريباً وأما سيدتي مرغريت فانها ذهبت وحدها . وكان الجو صافياً جميلاً جداً في ذلك الصباح وهي معتادة على الذهاب في صباح كل يوم كهذا اليوم وروجر يعلم ذلك . ومع هذا اضطرب على رغمه عند سماع كلام الخادمة فانقلب راجعاً الى حجراته وجلس يفكر سائلاً نفسه عن سبب هذا القلق والاضطراب ثم أخذ يشجع نفسه ويسكن فكره ووقف وهو ينظر الى ساعته فرأى ان الوقت يسمح له بعيادة بعض المرضى فخرج لشؤونه ولكن اضطرابه لم يفارقه وخال له ان كل ساعة يكون بها بعيداً عن امرأته توازي الدهر كله .

وبعد ساعة من ظهر ذلك اليوم عاد ودخل حجرة المائدة حيث كانت مرغريت بانتظاره كل يوم في مثل هذه الساعة ولكن لسوء الحظ لم يجد أحداً فقرع الجرس ولما حضر الخادم سأله : أين سيدتك مرغريت ؟

- انها لم تعد حتى الآن ! ان الطعام مهياً ان كنت تريد .

- يلزم ان ننتظر مرغريت !

خرج الخادم عابس الوجه مقطب الحاجبين نظراً لتغيير أوقات الطعام وهذا يهمه اكثر من سائر الأمور التي لا يبالي بها . أما روجر فانه فتح نافذة مطلة على الشارع وجلس أمامها وهو

ينظر كل عابري الطريق وقد ضاق صدره وعيل صبره فظهر له
عن بعد شبح امرأة فظنها زوجته ولكن لم تكن اياها . وبعد
هنيهة نظر مركبة آتية فقال ان مرغريت فيها لا شك فنهض
لاستقبالها وقد عاد اليه بعض الرمق غير ان ظنه لم يصب ايضاً
فقال : ويلاه ! خاب الأمل وكيف العمل وهو قد مل الاضطراب
وسئم من طول الانتظار وجعلت أفكاره تتلاطم كأمواج البحر
والهواجس تتجاذبه والتخيلات تتقاذفه والظنون تذهب به في
كل شعب وواد .

وعندما رأى أنه اضحى هدفاً لهيجان أفكاره واضطرابها
المواصل مما كاد يخرجها عن دائرة الرشد ويجعله أشبه بالبهائم
انحدر بسرعة البرق من أعلى السلم إلى حيث تسكن أمها مدام
موستل وهو كمن مسه خبل ثم سأل الخادمة عنها فأجابته : ان
مدام موستل تلبس ثيابها تفضل إلى الداخل وانتظر قليلا . فزاده
هذا الجواب ضعفاً على إباله فالتزم ان ينتظر مهدياً روعه وهو
يضرب أخماساً لأسداس غير أنه سئم الانتظار فهجم على باب
حجرتها وقرعه بشدة وهو يدعوها ولم تكد تخرج حتى صاح
بها بصوت دوت منه كل المساكن : اين هي .. وكيف لا تعلمين ..
وهل هي في عالم الأحياء أو عالم الأموات .. قولي لي الصحيح ..
ولماذا تخفين عني .. ؟

— تمهل يا روجر لا تخف ولا تزعج نفسك ولا تلح عليّ

بكثرة الأسئلة بل دعني افعل ما بدا لي .. فان سمعت كلامي تتم
الأمور على أحسن ما يكون ..

— لكن ماذا جرى وأي شيء يوجد من جديد . اصدقيني
الخبر لقد قتلتني الاضطبار ترى الى متى تدوم معاركة هذه
الشؤون .

فتحت بعدها اليمنى فرأى فيها ورقة صغيرة قد كتبت فيها
مرغريت بعض كلمات فتناولها بيد مرتجفة واذا بها : يا أماء ان
ألبير في حالة النزاع ولا أقدر أفارقه ثم أعاد القراءة ثانية وهو
يفرك عينيه واربط لسانه وشخص نظره بوالدتها التي قالت
ها أنذا ذاهبة الى حيث هي لأرى هذا الخطب الذي حل بنا على
حين غفلة غير اني استحلفك باسم ولدك بأن لا تحرك ساكناً اترك
الأمر على مسؤوليتي قال ولسانه يتلثم . هي عنده ؟

— نعم هي عنده !

— زوجتي مرغريت .. عنده ..

— لا أفهم .. كيف ..

— لا بد لي ان اذهب لاحضارها !

— قلت لك دع ذلك في عهدي أنا اعرفها حق المعرفة ذهابك
لا يوافق البتة .

انه في حالة النزاع وهي لا تكذب . يلزم ان تشفق اليوم
للتسعد غداً . يقتضي ان تكون حليماً لتعود اليك ..

— انها تكرهني الآن بدون شك آه مرغريت.. مرغريت!
قال ذلك وهو يبكي بكاء مرا ودموعه تنهل بكثرة على خديه
وأضحى منظره بهيئة يرثى لها .



الفصل السّاقى والسّاقى

حدث بعد أن خرج روجر أن نهضت مرغريت وهي تقصد الذهاب إلى البير بعزم ثابت أكيد إذ لم يكن أن يشغلها عنه أعظم شاغل في هذه الحياة كما انه لم يبق أن يهملها عذاب روجر وقلقه واضطرابه لأن قلبها فسا عليه حتى أضحى صخرياً صلباً . كيف لا ، وقد كان اقترن بها طلباً لسعادته لا لسعادتها وراحته إذ لو كان حبّه مجرداً عن الميل الذاتى لكان طيب خاطرها وساعدها على احتمال المصائب دافعاً عنها جيوش الموم من غير أن يقتن بها على هذه الصورة لأنه ابن عمها فهو والحالة هذه ملتزم بتفريج كرويه وتغزيتها في أحزانها لا أن يطلب زواجها به كما جرى حال كونها مقترنة برجل حي

وبناء على ذلك ذهبت إلى غرفة ابنها وقبلته قبلات حارة في سريريه بعد أن أفهمت الموضع بعض أشياء ثم خرجت إلى حيث مسكن البير لا تسوي على شيء . فهو ينتظرها ولكن بلا صبر . وقبل أن تدخل غرفة العليل فهمت من الخادم أن

الطبيب عنده ففتحت الباب توأ ودخلت بدون استئذان .
وعندما رآها الطبيب نهض عن كرسيه مندهلاً لدخول امرأة
على هذه الصورة من غير تنبيه ثم دنت من العليل ناظرة في وجهه
وقتاً غير يسير والتفتت إلى الطبيب بعد ذلك قائلة : هل عرفتني
يا دكتور ؟ ففهم من هي من مجرد سؤالها هذا لذلك وقف وانحنى
ثم جلس وظلت واقفة بقرب رأس البير ماسكة يده سائلة
الطبيب : كيف تراه ؟

— أراه تعماً يحتاج إلى ممرض يعتني به الاعتناء التام .

— أنا أهتم بكل ما يلزم .

— يظهر انه حصل له حركة في هذه الليلة مع ان الانفعال
والتأثر مضران به جداً . ثم نهض فرافقته إلى الباب الخارجي
وقبل أن يخرج سأله : كيف تراه ؟ قل لي الحقيقة يا حضرة
الطبيب .

— ان الحقيقة هي هذه لا أمل بنجاته .

— هل يطول مرضه هذا ؟

— لا أعلم بالتام . من الممكن أن يموت في هذا اليوم أو أن
يبقى حياً مدة ٤ أو ٥ أيام لا غير .

يموت اليوم البير .. وامصبيته .

— اعذريني يا سيدتي أنت سألتني عن الحقيقة .

— أشكرك يا حضرة الطبيب وهل يتألم كثيراً ؟

— لا أعلم . سأعود في المساء وخرج فوقفت قليلاً أمام باب
الغرفة لتخفي جزعها واضطرابها ثم دخلت باسمي وخلعت عنها
رداءها ودنت من السرير . نعم ان هذا العليل المحبوب قد تغير
تغيراً كلياً منذ بضع ساعات .. فاصفر وجهه وامتقع لونه وخف
نظره فرفع بصره إليها وقال بصوت ضعيف جداً تكاد تخنقه
المبرات : لا تتركيني .

— اقسم لك بأني باقية عندك حتى تشفى ثم حوّل النظر إلى
رسم ايّون وقال بصوت فهمته بعد صعوبة كلية : لأجلها ابقني
عندي .

— أنا لا أدعك وحدك منذ الآن وصاعداً لأجلك ولأجل
حبك لا لأجلها .

— فإذا لأجل الحب لا تتركيني أموت وحدي

— بعد عمر طويل .

ثم صمتا وقتاً طويلاً كان فيه البير ضاغطاً على يدها وهي تحملتي
به .. إذا ما رحل عني فانه يأخذ معه قلبي وشيئاً من حياتي ..
بل يا ليتني أرحل معه وتتحّد سوية في الأبدية بعد أن افترقنا في
هذه الحياة ولم لا ادفن بقرب جثته يا ترى وهل من سرور بعده

في هذه الحياة الدنيا لا لعمرى الله ما أعذب الموت متحدين . نعم وقد تجاذبنا الحديث مراراً بهذا الموضوع قبل الانفصال وهو أن نموت في ساعة واحدة ، ان حياتي بعده مُرّة للغاية ولا بد من موتي في الغد وما هو الفرق بين اليوم والغد الفرق هو ان موتى معه اليوم أعذب من موتى في الغد ، فياليتني أموت معه اليوم لتطير روحي مع روح من أحب حيث تتماسان في الفضاء وتجتمعان من غير انفصال إلى الأبد .

فتح البير المنازع عينيه ناظراً إليها فخال لها أن ذلك البصر الذي أضحى بعيداً يشير إليها لتأتي إليه فابتسمت ونظرت في وجهه بحركة هذا مقدارها مريدة أن تطبع صورته في ذهنها وتنقش أسره وجهه على صفحات قلبها تصورت انه وحيد فريد في هذا الكون بل انه هو ، هو العالم بأسره فإذا مات ماذا يبقى يا ترى ؟

وإذ كانت ساجدة في فضاء هذه التصورات حصل لأبير اضطراب عظيم وعسر تنفس فظننت ان ساعته الرهيبة قد دنت فتقطع قلبها هلعاً وحزناً ونهضت مذعورة وهي ترتجف فدخل الخادم وجعل ينشق المنازع المنعشات النافعة راشاً على وجهه الماء البارد إلى أن انتعش نوعاً وخف ذلك البحران وعاد إلى سكونه الأول وهو خمود طويل ، سكوت هائل لاقترب ساعة الموت .. فظننت انه نائم وتنحنت جانباً وسألت الخادم : كيف قضى ليلته الماضية .

-- كتب عدة تحارير ثم أغمي عليه من شدة التعب . ثم سألها
باحترام متى تريد أن تفطري يا سيدتي ؟ .

-- ومن له قابلية في هذه الحالة .

انما سؤال الخادم هذا فكرها ان زوجها ينتظرها بدون شك
كما انه لا يعلم أين هي لأجل هذا كتبت تلك الكلمات الوجيزة
وأشارت إلى الخادم أن يرسل ذلك إلى أمها في الحال . وبما أن
مرغريت أرادت أن تحفظ قواها إلى النهاية أمرت الخادم بأن
يهيئ لها شيئاً من الطعام لأنه يلذ لها أن تتناوله تحت سقف بيته
في آخر ساعة من ساعات حياته .



الفصل الثالث والسبعون

توسلت مدام موستل إلى مرغريت ابنتها من صميم قلبها بأن تعود بالعجل إلى .. زوجها فلم تمر كلامها جانب الاصغاء . وبعد أن ذكرت لها ابنها الصغير أجابت : اني افكر فيه وفي نفسي أيضاً كما انه ليس باستطاعة أحد أن يأخذ مني ولدي .. وسأدافع عن نفسي ما استطعت بدأت أمها تلح عليها متوسلة إليها بأن نعود إلى بيتها ٣ أو ٤ ساعات ثم ترجع وهي تقوم مقامها في خدمة البير وتمريضه . فلم تبال بهذا القول بل انقلبت راجعة إلى حجرة العليل وهي تقول لها : في الزمن الماضي كنت أعمل بموجب أمرك ونهيك أما الآن فلا . نعم قد تغيرت تغيراً كلياً . وذلك لأن البير هو زوجي الشرعي أمام الله والناس ونفسي . ولو كان في حالة النزاع ولا يكون مكاني إلا بالقرب منه في الحياة بل وفي الممات أيضاً .

— وابنك يا مرغريت ؟

— ابني لا يحتاج إليّ اليوم ولا غداً بل وفي الحالين لا أترك

البير قد تركته مرة في الحياة وذلك لا يعني اني أتركه في ساعة الموت . قالت هذا وخنقتها الدموع فلم تدر امها ماذا تقول ولا كيف تعمل وأين تتوجه ؟

— يا ابنتي مرغريت قد تركت روجر كالمجنون .. فهل تسمحين لي أن أعود بعد ذهابي إلى هنا وأبقى معك إلى حين رجوعك إلى بيتك .

— نعم .

رفعت أمها يديها إلى السماء وجعلت تناجي ربها قائلة : آه يا لها من تعاسة ! لِمَ لم تسمح يا الله بأن يقتل البير بمدام فارز بل كيف شاء العدل الإلهي أن يكون هذا الرجل سبب لتعاسة ابنتنا أولاً وثانياً مع ما هي عليه من التمسك بشرائعه والحفاظة على وصاياه ! ثم مضت وهي لا تعي على شيء ولا تدري بما تجيب ذلك الذي كان ينتظرها في حال يرثى لها ويرق الجلود الأصم . وعندما وصلت أخبرته بما دار من الحديث بينهما وأن العليل مطروح على فراش الموت يقاسي آلام النزاع وهو لا شك مائت . وكان روجر يسمع كلامها لن لا يفهم معناه قد بذلت مجهودي ترى ماذا يلزم أن أصنع أكثر وكنت قلت لها بأني أرجع إلى عندها لأكون بصحبته وهذا الرأي هو في غاية الموافقة واللياقة . فهل من مانع عندك .

لم يجبها روجر على الفور بل فكر وقتاً طويلاً ثم قال : لا بأس من رجوعك إلى هنالك .

— لله درك يا روجر فقد خلصتنا بهذه الحيلة من ألسنتهم .

— لا يلزم أن تظهرى اضطرابك هذا أمامهم وخذي كل ما تحتاج مرغريت إليه معك ..

حينئذ ترقرق الدمع في مقلتيها وقالت : لله ما أطيب قلبك وما أسلمه كيف لا تحبك يا أحسن الرجال وأسماهم بالفعال والأعمال !

— اذهبي حالا فأبى متكل عليك في مثل هذه الأحوال .

الفصل الرابع والسبعون

وكان نورحياته ينطفئ شيئا فشيئا ومرغريت جاثية بقربه في هيئة تفتت الأكباد وماسكة يده بين كفيها وهي تردد على مسمعيه من وقت لآخر . أنا هنا وتبكي بكاء مرأ ليس على ما تراه في الحال فقط بل على الماضي إذ انفصلت عنه بمجرد ارادتها وبذلك رفضت حبه وسعادتها معا . وحينما عادت امها جلست في الغرفة المجاورة لأن مرغريت تريد أن تكون منفردة في حجرة العليل . وبما أن النافذة بها تطل على البستان أجمالت النظر في تلك الحديقة الغناء المحتوية على انواع الازهار والرياحين ثم حولت عينها الى جدران الغرفة حيث رسم مرغريت وايثون فتبادر الى ذهنها حالا ان ابنتها ذات زوجين فلو ان هذا المنازع يعود الى الحياة ماذا يحدث يا ترى ؟ وهل تنفصل عنه مرغريت لتعود الى روجر . ان الامارات لا تدل على شيء من هذا ! وهي بدون شك تبقى عنده ، كيف لا وهو زوجها ولكن الحمد لله ..

فان الرجل مائت لا محالة .. وكانت الساعة تمر ببطء لدى مدام
موستل هذه فضايق صدرها وعندما سألت عن حال المريض قيل
لها انه لا يزال على ما كان عليه من الضعف والانهطاط وقد عاده
الطبيب وخرج من غير ان يقول شيئاً فخبرت روجر بالآلة
الناقلة الصوت « التلفون » وسألته عن حالة مكسيم فأجابها انه
يهتم به وألح عليها بالأترك مرغريت .

في أول هجمات الليل ابتداء النزاع فشمرت مرغريت إذ
ذاك بخوف هذه الوحشة الهائلة وحدها وعند انتصاف الليل
استأجنت والدتها واجلستها في ركن من الغرفة وبقيت هي
بجانب السرير الذي كان لم يزل يحتوي على آثار تلك الروح
الراحلة الى عالم الأبدية . ولم تكن تجد من تعزية وتسلية سوى
البكاء والنحيب ثم جثت على ركبتيها ساكبة الدموع الحارة
— دموع ندم وحب وحزن —

ولم تكن الساعة الثانية بعد نصف الليل إلا سمعت مدام
موستل صوتاً زعزع اركان ذلك البيت : وا مصيبتاه والوعتاه
لمن تتركني :

يا راحلا ودموع الحزن تصحبه هل من سبيل الى لقياك يتفق
نعم مات ولم يبق لها ان تراه وعما قليل ينحل في قبره

ويعود الى التراب الذي أخذ منه الانسان . كانت مرغريت تسمع كلام امها وتفهمه ولا تستطيع ان تعمل بموجبه بل كانت تنغمس عينيها وتأبى ان تجيب عليه بكلمة حتى حارت امها في أمرها وفي غضون ذلك وصلت مدام فارز وهي مصفرة الوجه بمقمة اللون خائفة القوى ، فنهضت للقائه . مرغريت بسرعة وتعانقتا وهما تعولان وتلتحبان حتى جرت دموعهما على الحضيض ومسا من معز يقف لوعتها ولا تزدادان إلا صياحاً ونواحاً بنوع يرق له الصخر ، ثم سألتها مرغريت وكيف بلغك خبر نعيه ؟ أجابتها ، كان كتب لي ليلة مجيئك الى هنا ، أشار ان يرسل لي كتابة بعد موته وهكذا وصلني في هذا الصباح . فتجدد بكاء مرغريت وقتاً طويلاً وهي تندبه وترثيه وتودعه الوداع الأخير بألفاظ ترحح الجبال الرواسي ، ثم قالت لها مدام فارز . هل تريدن أن تأتي إلي حيث تبقيين يوماً أو يومين ؟

- نعم بكل اختيار . قالت أمها : وزوجك يا مرغريت .. ؟

- لا اقدر أن أراه الآن . . فأنا أريد الذهاب معها

لا محالة !

.

جثت الاثنتان أمام جثة ألبير الهامدة زماناً غير يسير وهما تصليان وتضرعان إلى الله بأن يرحمه ويمتدح تلك الروح براحة في فسيح جنانه ، ثم زودتاه بنظرات الوداع الأخيرة وخرجتا وفي كل قلب جراح عميقة .

نعم ان نيران الحزن المتقدة في الأحشاء تخمد شيئاً فشيئاً ثم
يستدعي الصغير أمه فتعود هذه اليه بشوق وحنين والعود احمد
وذاك الذي كان حليماً غفوراً يصبح في آخر الأمر محبوباً أبداً
الدهر ...



هذا الكتاب

ليس في الثالث الأول من هذا القرن صوت أدبي
نسائي أشجى من صوت مي زيادة .

وليس من فكر كمفكرها يلتقي فيضي داعيًا إلى الحرية
والثقل بمجاعة لركب الحضارة في شتى الميادين والسبل .
وهي في كل ما كتبت تجسد طموح الأقطاب المستنيرة إلى
التجديد الأدبي إبداعاً في الشكل التعبيري وفي المضمون الفكري
فضلاً عن أنها تجسد طموح المرأة العربية إلى الحياة ، وطموح
الامة إلى الدخول في حركة العصر وبناء المجتمع والوطن .
... رهوع الموهبة رواية تطمح بالمشاعر الإنسانية

العميقة والأحداث الزاخرة الممتعة ، كما يتعدى فيها قلم مي
نحو الإبداع القصصي المدهش والبث البلوري المتألق ،
فيغدو الكتاب قطعة من أدب مي الخالد ، وقطعة من
روحها وعبقريتها الفذة كليلة من رواد الفن . وعلم
من أعلام التقدم وأدبية والكرامة .

وحسب الكتاب أن يثير في القارئ أعذب الذكريات
وأن يولج أبواب الحياة الإنسانية في أخصب معانيتها
وأبلى مشاعرها وحسبه أن يوقظ في نفسه منعة التدقيق
الفني وبهجة الإبداع القصصي .

الكتاب